مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية

تأليف

الإمام المجتهد الحافظ أبى الفيض

أحمد بن محمد بن الصديق الغمارى الحسنى

نفع الله به

الطبعة السادسة

١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م

مكتبة القاهرة

لصاحبها : على يوسف سليمان

بشارع الصنادقية : حول الأزهر بمصر

دار الطباعة المحمدية

بالأزهر - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما ينبغي لجلاله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله. أما بعد فإن علم النبي ﷺ بالغيب وإطلاع الله تعالى إياه على ما كان وما يكون إلى قيام الساعة وإلى أن يصير الفريقان إلى منازلهم من الجنة أو النار، بل وما بعد ذلك إلى ما لا نهاية له من الأزمان، معلوم ضرورة لأهل العلم والإيمان، مقطوع به عند أهل المعرفة والإيقان، لا يختلف في ذلك منهم اثنان، ولا يشك فيه منهم فضلان، لتضافر الأدلة بذلك وتكاثر البراهين على ما هناك، ويكفي قول الله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً، إلا من ارتضى من رسول) مع الإجماع المتيقن المقطوع به على أن أفضل المرتضين منهم وسيدهم على الإطلاق هو سيدنا محمد ﷺ بدون نزاع ولا شقاق، فهو أفضل من أظهره الله على غيبه بإخبار الله تعالى ثم بإخباره هو ﷺ أن الله تعالى أطلعه على كل شيء وآتاه علم كل شيء، وجلى له كل شيء وتجلى له فعلم ما بين السموات والأرض وما كان وما هو كائن إلى غير ذلك مما صحت به الأخبار، وتواترت بمجموعه الأحاديث والآثار، وأيده الواقع وصدقه العيان، في وقوع كل ما أخبر به ﷺ مما سيأتي بعده وفق ما قال وطبق ما أخبر به على مر السنين والأعوام وكر الدهور والأزمان، وقد قام ﷺ خطيباً فأخبر أصحابه بكل ما هو كائن بعد كما صح من طريق جماعة من الصحابة كعمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان وأبي زيد الأنصاري وأبي سعيد الخدري وابن مسعود وغيرهم.

فروى البخاري في صحيحه من حديث طارق بن شهاب قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه.

وروى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا

ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله ، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه .

وروى أبو داود من وجه آخر عن حذيفة قال : والله ما أدرى أنسى أصحاب رسول الله ﷺ أم تناسوا ؟ والله ماترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا رسول الله ﷺ باسمه واسم أبيه واسم قبيلته .

وروى أحمد ومسلم من حديث أبى زيد الأنصارى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى الظهر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى العصر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا .

وروى أحمد والترمذى والحاكم فى صحيحه من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ثم قام خطيباً بعد العصر إلى مغرب الشمس حفظها من حفظها ونسيها من نسيها وأخبر فيها بما هو كائن إلى يوم القيامة ، الحديث .

وقال أحمد فى المسند : حدثنا مكى بن إبراهيم ثنا هاشم بن هاشم عن عمرو بن إبراهيم عن محمد بن كعب القرظى عن المغيرة بن شعبة أنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً فأخبرنا بما يكون فى أمته إلى يوم القيامة وعاه من وعاه ونسيه من نسيه .

فصـــل

ولهذا قال أبو ذر رضى الله عنه : لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يحرك طائر جناحيه فى السماء إلا ذكرنا منه علماً . رواه أحمد وابن سعد فى الطبقات وكذلك قال أبو الدرداء رضى الله عنه فيما رواه عنه أبو يعلى والطبرانى فى الكبير .

والمقصود أن النبى ﷺ أخبر أصحابه بكل ما هو كائن بعده مما أطلعه الله تعالى عليه ، وحدث بذلك أصحابه رضى الله عنهم وظهر مصداق كل ما أخبر به مما سيأتى بعده إلى يومنا هذا .

فأما ماظهر فى القرون الماضية فتكفل بذكره جماعة من ألفوا فى سيرته وفضائله ومعجزاته وخصائصه ﷺ وبينوا ذلك وشرحوه وعينوه وحققوه.

وأما ماوقع فى زماننا هذا من انقلاب الأحوال وتغيرها وفساد الأخلاق وتبدلها ، وماظهر من الأمور العظيمة والحوادث الجسيمة والمخترعات العجيبة فلم أر أحداً تصدى لجمعه واستخراج ما ينص أو يشير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إليه ، وإن كان جل ذلك مذكوراً فى كتب أشراط الساعة وأبوابها من دواوين السنة ، لكنها مسرودة سرداً لايهتدى غالب الناس معه إلى تطبيقها على ماوردت فيه . ولا تنزيلها على ما أشير بها إليه .

فإنه ﷺ أخبر بذلك مرة بطريق التصريح وأخرى على جهة التشبيه والتمثيل والإشارة والتلويح حسبما يقتضيه المقام ويفهمه أهل كل زمان لأنه ﷺ أوتى جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً .

ولذلك خاض العلماء فى تفسير تلك الأحاديث وشرحوها بحسب ماأدركته عقولهم ووصلت إليه أفهامهم وحملها أهل كل زمان على ما كان فى زمانهم وطبقوها على ماظهر فيه من الحوادث والتغيرات والأحوال المبتدعات وهى وإن كان فيها ما هو صالح لذلك ، إلا أن أكثرها فى الحقيقة وارد فى هذا الزمان، فهو فى أحواله وحوادثه كالنص ، وفيما ذكروه كالظاهر والمؤول ، بل فيها ماهو نص قاطع فى حوادث زماننا لايقبل حملهم ولا يحتمل تأويلهم .

فصــــل

وهذا جزء ذكرت فيه ماوقع لى من الأحاديث التى أشار بها ﷺ إلى حال هذا الزمان وأهله وما ظهر من الأمور العظيمة والمخترعات العجيبة فيه وذلك على حسب مابلغه علمى ووصل إليه إدراكى وفهمى وقد يفتح الله على غيرى بما هو أوسع من ذلك ، وأدل على ماهنالك .

وسميته مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية .

فصــــل

قد ورد عن النبى ﷺ حديث أشار فيه إلى جميع ما حدث فى هذا العصر

من عجائب المخترعات وما وقع أو سيقع من الحوادث الهامة والغرائب المدهشة .

فقال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تروا أموراً عظاماً لم تكونوا ترونها ولا تحدثون بها أنفسكم » رواه نعيم بن حماد أحد شيوخ البخارى فى كتابه المشهور المعروف بكتاب الفتن من حديث سمرة بن جندب ، ورواه الإمام أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير مطولا كما سيأتى فلو لم يرو عنه ﷺ إلا هذا الحديث لكفى فإنه جامع للأخبار بكل عظيمة ظهرت أو ستظهر من الحوادث والمخترعات التى مارآها أحد ولا حدث بها نفسه قبل ظهورها ، بل الكثير منها كان من قبيل المستحيل عادة ، كالطيران لاسيما على الصفة الموجودة اليوم والسفر تحت الماء فى الغواصات ومكالمة الناس بعضهم بعضاً فى المدن والأقطار النائية ، وسماع من فى المغرب صوت من المشرق و بالعكس ، ونقل الصور وإرسالها مع الصوت كذلك وإضاءة المدن العديدة الكبيرة الواسعة بأنوار تأتيها فى أسلاك من أقطار أو مدن أخرى . وكون مادة ذلك النور بل والنار المحرقة من الماء المضاد للنار ، إلى غير ذلك مما لا يحصى اليوم من المخترعات المدهشة التى كانت منذ نحو مائة سنة من قبيل المستحيل ، وكل ذلك داخل فى قوله ﷺ : حتى تروا الأمور العظام التى لم تكونوا ترونها ، فهو من جوامع كلمه وعظيم معجزاته ﷺ .

فصـــل

ولما ظهرت هذه الأمور العظام كما سماها ﷺ وصار كثير من أهل العلم بالمشرق والمغرب يسألون هل وردت الإشارة فى الأحاديث النبوية إلى ظهور هذه المخترعات العجيبة ، فسألنى هذا السؤال جماعة من العلماء بمصر والحجاز والمغرب وكان هذا السؤال نفسه مما أخبر به .

فروى البزار والطبرانى فى الكبير من حديث سمرة أن النبى ﷺ قال « سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء ستنكرونها عظاماً تقولون هل كنا حدثنا بهذا فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله تعالى واعلموا أنها أوائل الساعة » .

ورواه أحمد فى مسنده بأصرح من هذا فقال: حدثنا أبو كامل حدثنا زهير حدثنا الأسود بن قيس ثنا ثعلبة بن عباد العبدى من أهل البصرة عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ فى حديث طويل فى وصف الدجال جاء فيه قوله ﷺ « وإن يكون ذلك حتى تروا أموراً يتفاقم شأنها فى نفوسكم وتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً » الحديث .

فهكذا والله كنت أسأل فى المجالس فيقال لى عند ذكر هذه المخترعات هل أخبر النبى ﷺ بهذه العجائب ؟ أو هل ورد فى الأحاديث النبوية مايشير إليها ؟ فأجيب بما فى علمى من ذلك .

إخباره ﷺ بظهور بابور سكة الحديد والأوطمبيل وما فى معناهما .

(فصل) فمن تلك الأمور العظام التى قال ﷺ إننا سنراها : بابور السكة الحديد والأوطمبيل والبسكليتة وما فى معناها وقد أخبر بها ﷺ بخصوصها ووردت الإشارة إليها فى القرآن والأحاديث النبوية .

أما القرآن ففى ثلاث آيات حسبما حضر لنا الآن :

الآية الأولى قوله تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون. وخلقنا لهم من مثله مايركبون) أى خلقنا لهم مما يماثل الفلك المشحون مايركبون فى البر ، والذى يماثل الفلك المشحون فى كبره وكثرة حمله هو بابور السكة الحديد وسيارات النقل التى تحمل عشرات الركاب مع بضائعهم وحاجياتهم وتكون مارة كأنها الأعلام طولا وعلواً ، كما وصف الله تعالى به السفن الجوارى فى البحر كالأعلام .

وكذلك بابور السكة الحديد بل هو أولى بالشبه والمثلية للفلك المشحون .

أما المفسرون الذين فسروا المثل فى الآية بالإبل فمعذورون لأنه لم يكن فى زمانهم مايشبه الفلك فى حمل الركاب والبضائع فاضطروا لحمل الآية على الإبل وإن كان حملا باطلا مقطوعاً ببطلانه لأن الفلك المشحون يحمل العشرات

من الناس بأثقالهم ويحمل مع ذلك الكثير من السلع والبضائع ، وهذا بالنسبة لما كان فى زمانهم . أما ما حدث فى زماننا فالسفينة تحمل الآلاف من الناس ومن القناطير المقنطرة من البضائع ثم السفن التى كانت فى زمانهم أيضاً مع كبرها وحملها الكثير من الركاب والأثقال كانت تجرى فى البحر جرياً حثيثاً بالرياح كما قال الله تعالى (وله الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام) وكل ذلك مخالف لوصف الإبل تمام المخالفة ، فشيها بطىء للغاية وحملها لا يقاس بحمل السفن بل كانت السفينة تحمل ما يزيد على حمل مائة بعير ، فكيف تفسر الآية بها بل ذلك باطل قطعاً .

وإنما الذى يماثل الفلك المشحون تمام المماثلة فى كثرة حمله وسرعة سيره فى البر هو بابور السكة الحديد ثم السيارات فهى المرادة بالآية جزماً .

وقد قال ابن عباس والحسن والضحاك وجماعة فى الآية المذكورة : وخلقنا لهم سفناً أمثال تلك السفن يركبونها .

وقال النحاس : وهذا أصح لأنه متصل الإسناد عن ابن عباس .

وهذا يدل على شفوف نظر ابن عباس رضى الله عنهما ونظره بنور الله تعالى فى معانى القرآن الكريم ، تصديقاً لدعاء رسول الله ﷺ إذ قال ﷺ اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، فإن وجود السفينة فى البر لا يخطر ببال أحد ولا يكاد ينطق به عاقل فى ذلك الوقت ، ولكن ابن عباس رضى الله عنهما نظر إلى الغيب من ستر رقيق إذ قال ذلك ، فكان هو المطابق للحال الموافق للواقع .

الآية الثانية قوله تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) أى من جنس المذكورات للركوب والزينة وهى أيضاً تركب وتحمل الأثقال كما هو حال الخيل والبغال والحمير ، فالآية صريحة فى جميع أنواع العجل والعربات من بسكليتة وأوطمبيل وغيرهما .

الآية الثالثة قوله تعالى فى أشراط الساعة (وإذا العشار عطلت) أى عن السفر عليها وحمل الأثقال عليها . والعشار هى الإبل التى قد أتى عليها عشرة أشهر كما قال ثعلب وأئمة اللغة .

وإنما عطلت عن السفر ونقل السلع والبضائع عليها بوجود السيارات وبوابير سكة الحديد فإنها بعد ظهورها لم يعد أحد يسافر على الإبل أو يرسل بضائعه عليها إلا نادراً جداً . فيما لم يكن سفر السيارات إليه . حتى أن عرب الحجاز وجزيرة العرب تضرروا غاية الضرر لما عبدت الطرق فى بلادهم وانتشرت فيها السيارات التى عطلت إبلهم عن العمل الذى كانوا منه يرتزقون .

وقد ورد التصريح بهذا أيضاً عن رسول الله ﷺ فقال مسلم فى صحيحه حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبى سعيد عن عطاء بن ميناء عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلا فليكسرن الصليب . وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها » الحديث .

والقلاص بكسر القاف جمع قلوص بفتحها وهى من الإبل كالفتاة من النساء .

فقوله ﷺ « ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها » تعيين للمراد من قوله تعالى (وإذا العشار عطلت) يعنى يترك استخدامها فى السفر ونقل البضائع كما كان حالها من قبل .

فظهور البابورات الحديدية والسيارات المتنوعة من أشراط الساعة وعلامات قرب نزول عيسى عليه السلام ، وإنه عند نزوله سيكون الأمر على ما هو عليه اليوم من استعمال السيارات والاستغناء عن الإبل كما فى الآية والحديث .

ويزيد ذلك وضوحاً أنه ورد فى الأحاديث المتعددة فى ذكر الدجال الخارج قبل نزول عيسى عليه السلام أنه سيطوف الأرض بأسرها فى أربعين يوماً اليوم الأول منها كسنة ، والثانى كشهر ، والثالث كجمعة ، وباقيها كسائر الأيام ، فيكون مجموع ذلك سنة وشهرين ونصف شهر ، وذلك لا يكفى لطواف الأرض ودخول سائر مدنها وقراها إلا مكة والمدينة وبيت المقدس مع وصوله إلى أبوابها ونظره إلى قبة النبى ﷺ من بعيد ، وهو المحل الذى تظهر منه اليوم

وقوله : هذا مسجد ذلك الرجل مما يدل على أنه لا يبقى قطر إلا دخله مع أن مدته بعد ظهوره لا تكفي لذلك إذا كان سفره على الدواب كما كان الحال وقت تحديث النبي ﷺ بذلك ، فتعين أن سفره وتنقله فى أقطار الأرض إنما هو بالمخترعات الحديثة الموجودة الآن ، وقد قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قام رسول الله ﷺ ذات يوم على المنبر فقال : يا أيها الناس إنى أجمعكم لخبر جاء من السماء فذكر الحديث وفيه : هو المسيح تطوى له الأرض فى أربعين يوماً إلا ما كان من طيبة وطيبة المدينة ، مامن باب من أبوابها إلا عليه ملك مصلت سيفه يمنعه ومكة مثل ذلك ، رواه أبو يعلى من طريقين أحدهما على شرط الصحيح ، بل الحديث أصله فى الصحيح من وجوه أخرى إلا أنه ليس فيه هذه اللفظة : تطوى له الأرض فى أربعين يوماً . وإن كان فيه ما هو مثلها أو أصرح .

فنى صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ فى ذكر الدجال قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الأرض ؟ قال أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم ، كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم ، قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة يكفينا فيه صلاة يوم قال لا ، اقدروا له قدره ، قلنا يارسول الله وما إسراعه فى الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ، الحديث .

فهذا كناية عن سرعة ذهابه فى الأرض بمن معه من جند ، وأعوانه ذلك بالسيارات ، وقد تكون فيه الإشارة إلى الطائرات أيضاً ، ويكون الدجال سيجمع بين السير فى الأرض على السيارات وعليه تحمل رواية : تطوى له كما فى حديث جابر ، وبين ركوب الطائرات وعليه يحمل هذا الحديث الذى يشبه سيره بالغيث استدبرته الريح ، فإن هذا مشابه لسير الطائرة تمام المشابهة .

ويزيد هذا تأكيداً أيضاً أنه ورد فى أخبار المهدى المنتظر أن الناس يتوجهون فى طلبه من مكة إلى المدينة ويترددون بينهما من انتهائهم من الحج إلى يوم عاشوراء ثلاث مرات ، والمدة من وقت انتهاء الناس من نسك الحج إلى يوم عاشوراء خمسة وعشرون يوماً أو أقل تقريباً وهذا القدر إنما يكفى للذهاب من مكة إلى المدينة

والرجوع منها مرة واحدة ، لأن المسافة بينهما بالإبل كما كان وقت تحديث النبي ﷺ بهذا وبعده إلى وقت ظهور السيارات عشر ليال ذهاباً ومثلها فى الرجوع ، فلا يتصور مع هذا أن يذهبوا ويرجعوا ثلاث مرات إلا فى نحو شهرين .

وقد استشكل ذلك المتقدمون ، لاسيما مع إضافة مدة البحث عنه فى كل من الحرمين الشريفين إلا أن يجدوه ويبايعوه ليلة عاشوراء .

وأجاب بعضهم بأن هؤلاء كلهم أولياء فيمكن أن تطوى لهم الأرض وأنهم من أصحاب الخطوات .

وتمحك بعضهم فأجاب بأنه يمكن قطعهم المسافة على الركائب فى خمس ليال كما يقع لبعضهم نادراً ، ومع تسليم ذلك واحتمال قوتهم هذا للتعب العظيم متتابعاً من غير راحة فلا تقل المسافة عن أربعين إلى خمسة وثلاثين يوماً مع أن المدة دون خمسة وعشرين .

والواقع خلاف هذا كله وإن النبي ﷺ يشير إلى هذه المخترعات التى يذهبون بها ويرجعون مع الراحة الكاملة فى يوم أو يومين ، ولذلك فترددهم بين مكة والمدينة ثلاث مرات فى نحو خمسة وعشرين يوماً من أمكن الممكنات اليوم كما هو معلوم لاسيما إذا كان توجههم فى ذلك بالطائرات .

وعلى هذا فكثير من أحاديث المهدى وعيسى والدجال تشير إلى حدوث السيارات والطائرات والسفر بها .

وقد روى الطبرانى فى الكبير بسند رجاله ثقات من حديث أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتزوى الأرض زياً » أى تطوى ويضم بعضها إلى بعض .

وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « يتقارب الزمان وينقص العلم ، وفى رواية العمل ويلقى الشح ويكثر الهرج » الحديث .

ففى كل من قوله ﷺ يتقارب الزمان ، وقوله : تزوى الأرض دليل على السيارات وبابور السكة الحديد ، لأن بها يتقارب الزمان . فتصير المسافة التى كانت تقطع على الدواب والأرجل فى أسبوع تقطع الآن فى نصف يوم ، والتى

كانت تقطع فى سنة كما بين المغرب والحجاز تقطع فى أقل من نصف شهر ، وهكذا المسافة التى كانت تقطع فى يوم صارت الآن تقطع فى ساعة كما هو معلوم .

وقد ورد التصريح بهذا التحديد عن النبي ﷺ ففى سنن الترمزى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار » ، والضرمة محركة السعفة فى طرفها نار .

وروى أحمد فى مسنده والطحاوى فى مشكل الآثار من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كاحتراق السعفة » يعنى غصن النخلة اليابس .

ورواه أبو يعلى من حديث مثله إلا أنه قال : ويكون اليوم كاحتراق الحزمة ، وهذا اختصار من الراوى لنسيانه لفظ الحديث وذهاب ذكر الساعة من ذاكرته ، وإلا فهذا وصف الساعة لا اليوم كما سبق .

وكذلك زى الأرض — وهو انضمام بعضها إلى بعض — فإن المراد به تقارب مدنها وقراها بسبب البابور والسيارات حتى إن كثيراً من التجار يسكن مدينة وهو فاتح محل تجارته بمدينة أخرى ، ومع ذلك يذهب إلى منزله ويرجع كالعادة مثل غيره ممن محل تجارته فى بلده ، وكذلك بعض العلماء كان يسكن القاهرة وهو رئيس محكمة بالإسكندرية فيذهب إلى المحكمة كل يوم ثم يعود إلى منزله آخر النهار بوابور السكة الحديد ، مع أن المسافة بينهما نحو أسبوع ، وهكذا زويت الأرض كما قال النبي ﷺ وكما ورد التصريح به فى أحاديث أخرى .

روى أحمد من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق ويتقارب الزمان » الحديث .

وروى أحمد أيضاً من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لايخاف إلا ضلال الطريق » الحديث .

فسير الراكب من العراق إلى مكة على الصفة المذكورة إنما حصل بالسيارات العمومية والخصوصية كما هو مشاهد ، وقد كان الراكب يسير من المدينة إلى العراق بريداً ولكن فى مدة طويلة وفى تعب عظيم وخوف على نفسه من الحر والعطش وغير ذلك ، أما اليوم فقد زال كل ذلك ولم يبق إلا ضلال الطريق لمن لم يكن معتاد السفر فى تلك الفيافى لأن الطريق بين المدينة والعراق لاتزال غير معبدة ولا معينة حتى يسلكها الراكب وهو آمن من ضلال الطريق .

وأما صيرورة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً فقد حصل ذلك فى كثير من بقاعها بسبب المواصلات أيضاً ومن شاهد الطريق بين مكة والمدينة وبين جدة ومكة عرف أن الحجاز نفسه سائر إلى ذلك .

وأصرح من هذا الحديث مارواه الديلمى فى مسند الفردوس .

قال أخبرنا الكنانى ثنا يعقوب بن إبراهيم البزار ثنا على بن مسلم ثنا ابن أبى فديك عن عبد الله بن أبى يحيى عن سعيد بن أبى هند عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى يخرج الناس من المدينة إلى الشام يبتغون فيها الصحة » وهذ الحديث فيه معجزة للنبى ﷺ من ثلاثة وجوه :

أولها: الإخبار والإشارة إلى ظهور السيارات وبوابير سكة الحديد، فإنه ليس من المعقول أن يخرج الناس لطلب الصحة فى مسافة تزيد على عشرين يوماً على ظهور الإبل لما يلحق الراكب المسافر تلك المدة من التعب الذى يكاد يعجز عنه غالب سكان المدن ولا يطيقه منهم إلا القليل النادر الذى لا يتحمله إلا لضرورة ملحة ، فكيف يخرج أهل المدينة المنورة وهم أهل دعة ورفاهية لطلب الصحة بالشام على الإبل التى هى غاية التعب والمشقة ، فلم يبق إلا أنه ﷺ يشير إلى أن ذلك سيكون عن طريق السيارات وبابور سكة الحديد والطائرات

التي يتمكن المسافر بها إلى الشام من طلب الصحة والاستجمام والراحة به .

ثانيها : الإشارة إلى وصول سكة الحديد إلى المدينة المنورة ، وقد كان ما أشار إليه ﷺ ووصلت سكة الحديد من الشام إلى المدينة المنورة واستمرت مدة ، أيام حكم الدولة التركية إلى أيام الحرب العظمى الأولى لما حصلت الفتن من عرب الحجاز ومحاربتهم لدولة تركيا ، فمنذ ذلك قلعوا أشرطتها فتعطلت ولا يزال البحث قائماً فى إعادتها مرة أخرى .

ثالثها : أن ما أخبر به ﷺ من خروج الناس من المدينة إلى الشام يبتغون الصحة ،وقع كما قال وطبق ما أخبر به ﷺ فكان الناس أيام وجود سكة الحديد يذهبون من المدينة إلى الشام طلباً للصحة والنزهة والراحة لا سيما أيام الصيف .

وقد ورد ذكر السيارات فى حديث آخر وصفها فيه ﷺ بما يشبه وصفها وشبهها بالرحال وهى مراكب الإبل ، وشبهها فى رواية أخرى بالمياثر وهى السروج العظام ، بل وأشار إلى أصحابها وعين بعض المواقف التى يوقفها أصحابها بها وهى أبواب المساجد عند ذهابهم إلى صلاة الجمعة فيها ، ووصف نساء هؤلاء القوم المالكين لها بملابسهن التى لم يلبسنها ولم تشع بينهن إلا بعد ظهور السيارات وفشو التفرنج وتقليد الإفرنج فى كل ما ابتدعوه فكان ذلك عن عجائب معجزاته ﷺ كأنه يخبر خبر عيان ومشاهدة .

فروى أحمد فى مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرحال ينزلون على أبواب المساجد نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف ، ألعنوهن فإنهن ملعونات » .

ورواه الحاكم فى صحيحه المستدرك مثله إلا أنه قال : « يركبون على المياثر » بدل قوله فى رواية أحمد : « على السروج » ، وفى آخره فى نفس الحديث تفسير المياثر بالسروج العظام ثم قال الحاكم فى الحديث : صحيح على شرط البخارى ومسلم .

فالنساء الكاسيات العاريات اللابسات لباس الأوربيات بما فيه البرانيط التى شبهها ﷺ بأسنمة البخت أى الإبل . لم يظهرن إلا فى هذا الزمان ورجالهن هم أصحاب السيارات التى تشبه الرحال والسروج العظام على حسب كبرها وصغرها واختلاف أشكالها وأوضاعها ، وهم الذين يذهبون لصلاة الجمعة فى المساجد ويتركون سياراتهم على أبوابها تنتظرهم ، فهو من أصرح الأحاديث فى السيارات .

ومن الأحاديث المشيرة إلى ظهور بوابير سكة الحديد والسيارات أيضاً الأحاديث المخبرة بفشو التجارة آخر الزمان حتى يتجر النساء وتعين المرأة زوجها على التجارة وهى كثيرة وسيأتى ذكرها ، فإن التجارة مافشت وسهل أمرها حتى دخل النساء فيها بكثرة ، وصرن يعن أزواجهن فيها بل ويتجرن دون أزواجهن فيسافرن بالبضائع من مدينة إلى أخرى كما هو فاش عندنا بالمغرب الآن إلا بسبب السيارات وبوابير سكة الحديد فإنها التى سهلت عليهن أمر التجارة حتى صارت السيارة التى تحمل أربعين شخصاً تسافر بين طنجة والرباط وبين طنجة وتطوان وأكثرها نساء تاجرات . بل قد لايكون فيها غيرهن أحياناً إذا سافرت وهى غير عامرة كما شاهدنا ذلك مراراً ، وكذلك بعض عربات سكة الحديد قد لا يوجد فيها غيرهن فى بعض الأحيان ، والمقصود أنه ماسهل عليهن ذلك وجرأهن عليه إلا وجود بوابير سكة الحديد وسيارات السفر ، ولولاها لبقين فى بيوتهن كما كن من قبل ، وكما هو معلوم لكل أحد .

إخباره ﷺ بوجود الطائرات على اختلاف أنواعها

(فصل) ومن الأمور العظام التى رأيناها كما قال ﷺ : الطيران فى السماء فى الطائرات الكبيرة الحاملة للستين والسبعين نفراً مع بضائعهم وما يحتاجون إليه من مأكول ومشروب ، والطائرات الحاملة للقنابل العظيمة الجرم الثقيلة الوزن المخربة للمدن والأمصار وكلاهما ورد عن النبى ﷺ الإشارة إليه .

أما طائرات النقل للمسافرين والبضائع فهى داخلة أولا فى إخباره ﷺ بأن الساعة لاتقوم حتى يتقارب الزمان وتتقارب الأسواق وتطوى الأرض وغير ذلك من الأحاديث المشيرة إلى السيارات وبوابير سكة الحديد ، فإن

الطائرات داخلة فى ذلك بل هى أولى ، لأنها أسرع فى طى الأرض وتقارب الزمان وطيه وجعل سفر اليوم بدل سفر السنة فيما سبق ، فقد كان الحجاج يذهبون من المغرب المراكشى إلى الحجاز فى سنة ، واليوم صاروا يذهبون إليه بالطائرات فى يوم واحد مع بعض ليلة .

وكذلك هى داخلة فى أحاديث الدجال وطوافه الأرض كلها ودخوله سائر مدنها فى نحو سنة ونصف فإن ذلك لا يمكن إلا بالسيارات تارة وبالطائرات أخرى .

وقد قدمنا مايعين ركوبه بالطائرات أيضاً وتنقله بها ، وهو الحديث الذى أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث النواس بن سمعان إذ جاء فيه : « قلنا يارسول الله وما إسراعه فى الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح » .

ورواه الطبرانى من حديث جبير بن نفير عن أبيه عن النبى ﷺ وفيه « قيل يارسول الله فما سرعته فى الأرض ؟ قال : كالسحاب استدبرته الريح » .

فهذا وصف سير الطائرة فى الجو فمن شاهدها قرب نزولها إلى الأرض وشاهد السحاب الذى استدبرته الريح علم دقة وصفه ﷺ للطائرات وأنه لم يحد عنه حرفاً كأنه ﷺ كان يشاهدها كما نشاهدها نحن الآن .

وروى الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى لا تنطح ذات قرن جماء ، وحتى يبعث الغلام الشيخ بريداً بين الأفقين ، وحتى يبلغ التاجر بين الأفقين فلا يجد ربحاً » .

وفى رواية له أيضاً لاتقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة ، وحتى تتخذ المساجد طرقاً فلا يسجد لله فيها ، وحتى يبعث الغلام الشيخ بريداً بين الأفقين ، وحتى يبلغ التاجر بين الأفقين فلا يجد ربحاً ، والأفق ماظهر من نواحى الفلك كما فى القاموس ولا يبلغه المرء إلا بالطائرة وكم من ملك غلام يبعث وزيره أو نائبه الشيخ العجوز بريداً فى الطائرة . حتى يبلغ الأفق فى سفره بها ، وكم من تاجر ركب الطائرة ومعه بضاعته الغالية الثمن الخفيفة الحمل أو ركبها فى التجارة وإن لم يحمل معه بضاعة فلم يربح شيئاً كما قال ﷺ ، ومنذ مدة من

الزمن طار رجل أعرفه من مدينة بالمغرب إلى أخرى به أيضاً وحمل معه سلعة فباعها ثم رجع قائلا لم أربح شيئاً .

وأما الطائرات الحربية فمذكورة فى القرآن العظيم وفى السنة النبوية ، قال الله تعالى : (والمرسلات عرفاً . فالعاصفات عصفاً . والناشرات نشراً . فالفارقات فرقاً . فالملقيات ذكراً . عذراً أو نذراً . إنما توعدون لواقع).

فهذا وصف للطائرات الحربية بجميع حركاتها وأفعالها تعصف بقنابلها وهى تحتمل فى اللغة معنيين : تترك الناس كعصف مأكول ، وتميل أحياناً عن هدفها وهو معنى العصف أيضاً ، وتنشر المنشورات على الجنود فى ميادين الحرب وعلى الأهالى والسكان فى المدن للدعاية والإخبار بما تريده الدولة المحاربة وتفرق بين الجموع والكتائب فرقاً لأن الرعب بها والهزيمة أشد من غيرها بحيث لا يثبت تحتها جمع ، بل بمجرد رؤيتها من بعيد يقع الفرار والتفرق والاختفاء فى الكهوف والملاجىء ، فالملقيات ذكراً فى المنشورات عذراً تعتذر به الدولة عن ضربها بعض الأماكن البريئة ، والتى ليست من مراكز الحرب ، أو نذراً تنذر به السكان وتخوف وتوعد وتهدد وتطلب التسليم ونحو ذلك من أنواع الإنذار كما هو معروف .

وقال تعالى : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم) الآية ، فإنها واردة فى إلقاء القنابل من الطائرات .

فقد سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية الكريمة فقال : « أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد » رواه أحمد فى مسنده من حديث سعد ابن أبى وقاص بسند حسن .

فهذا يفيد القطع بأن المراد بالعذاب من فوق فى الآية المذكورة هو القنابل النازلة من الطائرات ، لأنه لم يقع فيما مضى شىء من ذلك فى هذه الأمة حتى ظهرت الطائرات ورميها بالقنابل . والنبى ﷺ أخبر بأن ذلك كائن لا محالة وأنه آت بعده ، فحصل من ذلك القطع بأنها المراد من الآية ، وقد تحقق ذلك وضرب المسلمون وغيرهم بالقنابل من فوقهم ولا يزال الناس مهددين

بالنوع الخطر منها وهى القنابل الذرية التى هى عذاب عام شامل وستأتى الإشارة إليها بخصوصها فى آية أخرى .

وأما العذاب من تحت الأرجل فإشارة إلى الألغام التى تنصب فى الأرض فيمر عليها من يراد إهلاكه فتنفجر تحت رجله أو عربته فيهلك ، أو تنصب تحت الدور والمنازل فتهدم على من فيها ممن يريد الله هلاكه وعذابه .

من الأحاديث العجيبة فى هذا الباب ما رواه أحمد فى مسنده بسند صحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطراً لا تكن منها بيوت المدر ولا تكن منها إلا بيوت الشعر » .

فالمطر الذى لا تكن منه البيوت المبنية بالحجر هو القنابل النازلة من الطائرات فإنه يهدمها على من فيها ولو لم تنزل على البيت نفسه لأن قوة انفجارها تهدم البيوت القريبة من مكان الانفجار على من فيها ، فلا تكن بيوت المدر منها وإنما تكن منها بيوت الشعر فى البوادى التى يسكن أهلها خيام الشعر ، فإن القنابل إذا لم تنزل على نفس الخيمة لا يحصل منها ضرر لسكان القرية الذين يختبئون فى المغارات وتحت الأحجار ، فالحديث لولا ظهور القنابل لما تصور أحد معناه.

الإخبار بالقنابل الذرية والهيدروجينية

(فصل) ومن تلك القنابل التى تلقيها الطائرات للعذاب ما ظهر حديثاً من القنابل الذرية والهيدروجينية القوية المفعول، وهى مع كونها داخلة بطريق الأولى فى الآية السابقة فلها أيضاً آية تخصها من بين أنواع القنابل الأخرى.

قال تعالى فى أشراط الساعة :(حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) فإن أهل الدنيا وهم الكفار وإن ظنوا بما تيسر لهم من المخترعات أنهم قادرون عليها إصلاحاً وعمارة وتزيناً وهدماً وتخريباً لم يقو عندهم هذا الظن حتى حصل عندهم القطع أو كاد بأنهم قادرون عليها إلا بعد حصولهم على القنابل الذرية والطاقة الذرية كما هو معلوم .

وبهذا يعلم أن الساعة قريبة جداً ، وأن ظهور أشراطها الكبرى كالمهدى وعيسى عليهما السلام منتظر من يوم لآخر .

وقد يكون المراد من قوله تعالى: (أتاها أمرنا ليلا أونهاراً) أنه سيسلط أصحاب هذه القنابل بعضهم على بعض فيتحاربون بها ويكون ذلك سبباً فى خراب الدنيا وجعلها حصيداً كما قال الله تعالى ، وكما يصفه الواصفون لمفعول هذه القنابل التى يبدون منها تخوفهم العظيم على الدنيا بأسرها ؛ ولكن لاتقع هذه الحرب المؤدية إلى ماقال الله تعالى إلا بعد خروج المهدى ونزول عيسى لقتل الدجال وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك مما صحت به الأخبار ، ومما هو واقع لامحالة .

الإخبار بالتليفون والتلغراف والراديو

(فصل) ومنها التليفون والتلغراف والراديو ، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) بل هو ظاهر فيه ، وهو داخل أيضا فى أحاديث تقارب الزمان وزى الأرض وطيها طياً ، فإن الأرض كما طويت لاتصال الأبدان بسرعة وكذلك الزمان طوى لاتصالها كذلك، طوياً معاً لاتصال الأصوات والأخبار المغيبات عن البلد ، والقذف بها من بلد إلى بلد ومن قطر إلى آخر .

وكذلك التلغراف والراديو داخلان فى الآية المذكورة والأحاديث السابقة ويشير إلى التلغراف أيضاً ماسيأتى فى وصول خبر الهلال إلى الاقطار البعيدة .

وحديث رواه النسائى من حديث عمرو بن تغلب قال: قال رسول الله ﷺ «إن من أشراط الساعة أن يفشو المال ويكثر ، وتفشو التجارة ، ويظهر القلم ، ويبيع الرجل البيع فيقول لاحتى أستأمر تاجر بنى فلان» الحديث .

فقوله حتى أستأمر تاجر بنى فلان أى أستشيره ، وهو مانشاهده أحياناً من كبار التجار فى استشاراتهم لدورهم وشركائهم فى بيع السلع بإرسال التلغرافات للسؤال عن ذلك والاستشارة فيه ، خوفاً أن يكون السعر زاد

أو نقص أو يكون شريكه باع تلك السلعة لغيره ونحو ذلك من المقاصد لأنه لا يمكن أن يستشير تاجر بنى فلان الذى هو بعيد عنه فى بنى فلان الذى هو كناية عن قبيلة أخرى أو بلد آخر عند المبايعة إلا بالتليفون أو التلغراف فى البلاد البعيدة كما شاهدناه .

ويشير إلى الراديو خبر وارد فيه وفى المطابع أيضاً رواه الدارمى فى مسنده وأبو نعيم فى الحلية من حديث أبى الزاهرية يرفع الحديث «إن الله تعالى قال أبث العلم فى آخر الزمان حتى يعلمه الرجل والمرأة والعبد والحر والصغير والكبير فإذا فعلت ذلك بهم أخذتهم بحق عليهم» .

فانتشار العلم بهذه الدرجة إنما حصل بسبب الدروس والمحاضرات والمقالات التى تذاع بالراديو فيسمعها الرجال والنساء والكبار والصغار والعبيد والأحرار .

وإن كان للمطابع أيضاً أثر كبير فى تسهيل نشر العلم فى هذا الزمان إلا أنها خاصة بمن يقرأ ويكتب ويطالع ويفهم ، أما الراديو فعام للجميع .

وهناك حديث آخر يخص الراديو أيضاً رواه ابن ماجة من حديث أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ «ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير» .

ففى هذا الوقت استحلت الخمر وسميت بغير اسمها كالبيرة وسربيسة ، ووضع الراديو فى البيوت والأماكن الأخرى كالمقاهى والخمارات فوق الرفوف والمرافع فتراهم يشربون الخمر التى استحلوها وسموها البيرة أو سربيسة بغير اسمها والراديو فوق رؤوسهم يذيع أصوات المعازف والمغنيات فيوشك أن يخسف الله بهم

وقد روى هذا الحديث من طرق متعددة من حديث جماعة من الصحابة وأصله فى صحيح البخارى من حديث أبى عامر أو أبى مالك الأشعرى بلفظ «ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الخمر والحرير» الحديث . وفيه «ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة» .

ويشير إلى الراديو أيضاً حديث عوف بن مالك فى أشراط الساعة وفيه « واتخذ القرآن مزامير » الحديث : رواه الطبرانى فى الكبير وأصله عند بن ماجة فى افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة .

فالقرآن ما اتخذ مزامير إلا بقراءته فى الراديو الذى هو كالمزمار لأنه آلة لإذاعة العزف والغناء الذى هو أكثر مايذاع فيه وإضافة القرآن إلى ذلك وأنه اتخذ مزامير لأنه يقرأ فى الإذاعة بعد الغناء وقبله . ويساق معه مساقاً واحداً بالصيغة التى يطرب منها العوام كما يطربون من الغناء فكأنهم اتخذوه مزامير كما قال ﷺ .

إخباره صلى الله عليه وسلم بالغواصات

(فصل) ومن الأمور العظام التى رأيناها كما قال ﷺ ، الغواصات وقد ذكرها الله تعالى أيضاً فى قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم) الآية ، وقد قدمنا الحديث الذى أخرجه أحمد فى مسنده من حديث سعد بن أبى وقاص أن النبى ﷺ سئل عن هذه الآية فقال « أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد » فجاء تأويلها بظهور الطائرات الرامية للقنابل ، والألغام والغواصات ، ولما لم يكن فى زمن المفسرين شىء من ذلك فسروا العذاب من فوق بالملوك ، ومن تحت الأرجل بالعبيد ولا يخفى بطلانه ولكنهم معذورون لأنهم لم يروا مايصلح أن تطبق عليه الآية كما رأينا نحن والحمد لله .

إخباره ﷺ بكلام الجمادات كالفونوغراف وشريط تسجيل الخطب والغناء وغير ذلك

(فصل) ومن ذلك كلام الجمادات كالفونوغراف وآلة التسجيل فقد روى أحمد فى مسنده من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس ، وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره بما أحدث أهله من بعده » ورواه أيضاً الترمذى وقال حسن صحيح غريب والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

وأبو نعيم فى الحلية وغيرهم ، ورواه عن النبي ﷺ أيضاً أبو هريرة ولفظه « إنها أمارات من أمارات بين يدى الساعة أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله من بعده ». أخرجه أحمد فى المسند .

وهذا يشير إلى آلة صغيرة ظهرت حديثاً يمسكها الرجل بيده أو يضعها فى جيبه فتسجل مادار من الحديث فى المجلس من غير أن يشعر أهله بذلك ليكون كلامهم وصوتهم حجة عليهم . والحديث يخبر بأنها ستنتشر حتى يتخذها أكثر الناس لهذا الغرض ، فيخرج الرجل من بيته ويتركها فيه تحصى على أهل بيته كلامهم وما أحدثوه ، فإذا رجع سمع كلامهم منها فكانت كأنها تحدثه بما قالوه بعده ، وقد يكون ذلك واقعاً الآن فى أمريكا وأوربا ولم تصل إلينا بعد .

أما استعمال الحكومات لها فموجود فى كل البلاد .

ولما اعتقلت وكنت فى حجرة مقفلة على وحدى داخل السجن ، جاء بعد يومين أو ثلاثة رجل إلى باب الحجرة وناداني من وراء الباب هل تعرف القراءة والكتابة ؟ قلت : نعم ، فأدخل لى ورقة من تحت الباب وقال اقرأ هذه ثم ردها إلى فقرأتها فإذا فيها اصبر وما صبرك إلا بالله ، هؤلاء القوم يهيئون لك حجرة خارج السجن وقد وضعوا لك تحت السرير آلة تسجل عليك كل ماتلفظ به فإذا زارك أحد وكنت تريد مخاطبته بسر فاكتبه إليه فى ورقة ولا تتكلم بشيء ، فكان كما قال .

وقد وقع فى رواية الترمذى لهذا الحديث زيادة لها معناها ولفظ الحديث عنده « والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما أحدث أهله بعده » .

ومن المعلوم أن الإفرنج يضعون الجيوب فى السراويل محاذية لأفخاذهم يضعون فيها مايحتاجون حمله معهم ويكون للواحد منهم والمتشبه بهم سراويل وأحذية متعددة يلبسون كل أيام منها واحداً والباقى يعلقونه فى منازلهم وكذلك الأحذية تكون موضوعة فى المنزل .

فكأن هذه الآلة الصغيرة يضعها الواحد منهم فى جيب سرواله ويتركه معلقاً فى بيته على العادة ، فتلتقط الكلام وتسجله وكذلك الحذاء والسوط الذى جرت عادتهم أن يمسكوه فى يدهم فإذا رجع إلى بيته حدثته الآلة بما سجلته من كلام أهله فكأن فخذه أو عذبة سوطه أو شراك نعله هو الذى حدثه والله أعلم بمراد رسوله ﷺ فقد يكون المراد غير هذا مما لم نشاهده بعد.

إخباره ﷺ بالسيرك الذى يلعب فيه بالحيوانات كالأسد والنمور والفيلة

(فصل) أما قوله ﷺ « حتى تكلم السباع الإنس » وفى رواية « الإنسان » فهو إشارة إلى السيرك الذى تستخدم فيه الأسد والنمور والفيلة وغيرها من السباع فى الألعاب العجيبة والحركات الغريبة التى يعجز عنها كثير من نوع الإنسان ، وتخاطب فتفهم ، وتؤمر وتنهى فتأتمر وتنتهى حسب إرادة اللاعب بها ، وتخبره هى بأمور وأخبار لا يدركها إلا من جهتها .

إخباره ﷺ بالكلاب التى صارت تتخذ اليوم لاستكشاف أصحاب الجرائم

(فصل) وكذلك يدخل فى قوله ﷺ « وحتى تكلم السباع الإنسان » الإشارة إلى ظهور الكلاب التى صار البوليس اليوم يتخذها لاستكشاف أرباب الجرائم العظام كالقتل وهى من نوع خاص من الكلاب يوجد ببعض البلاد الأوربية ، أعطى قدرة على إدراك الجريمة من صاحبها بحيث لا يخطىء ثم يخبر البوليس بذلك بالطرق المعلومة عندهم ، ولا يخفى أن الكلاب من السباع فى اللغة والشرع .

فالحديث وإن كان محتملا لأنها ستتكلم فيما بعد كلاماً حقيقياً إلا أن ذكرها مع الآلة التى حدثت لتسجيل الكلام وإخبار الرجل بما فعل أهله من بعده قرينة على ما ذكره لأن الجميع ظهر فى وقت واحد .

إخباره ﷺ ببساتين الحيوان التى تجمع فيها للفرجة عليها

(فصل)وعلى ذكر السباع وكلامها للإنس نذكر ماحدث أيضاً من جمعها وسائر الوحوش فى البساتين للفرجة عليها وذلك فى سائر الدول كما جرت به عادتهم ، وذلك من أشراط الساعة وعلامات قربها ، حتى إن الله تعالى ذكر ذلك فى القرآن فى أشراط أخرى ضمها إلى ماسيقع بعد قيامها ، وأجاب عن الجميع جواباً واحداً كأن جميعها سيقع فى وقت واحد ، وذلك ماترك كثيراً من الناس يفهمون أن ذلك سيقع فى الآخرة بعد قيام الساعة .

والواقع كما قال ابن عباس وأبى بن كعب وأبو العالية أن بعضها فى الدنيا قبل قيام الساعة ، وبعضها فى الآخرة بعد قيامها .

فقال تعالى (وإذا الوحوش حشرت) أى جمعت ، والحشر الجمع والاختلاط ، فقد حشرت الوحوش وجمعت فى البساتين المعدة لذلك ، كما قال الله تعالى ، وهو فعل محرم منهى عنه شرعاً من وجوه :

أحدها : تعذيب تلك الحيوانات بسجنها فى الأقفاص ومنعها من حريتها التى جعلها الله لها بدون فائدة شرعية مأذون فيها من خالقها تعالى ، ثانيها : أن فى تلك الوحوش ماهو مؤذ خبيث يجب قتله ولا يجوز اقتناؤه لغير فائدة كالكلاب الوارد أن من اقتناها لغير الصيد أو الماشية فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراطان كما هو صحيح عن رسول الله ﷺ فى صحيح البخارى ومسلم وغيرهما من حديث ابن عمر ، وكذا الخنازير والسباع والحياة والعقرب والوزغ والفيران والغربان فكل هذه لايجوز اقتناؤها بحال .

ثالثها : أن ذلك من العبث الباطل الذى نهى الله عنه .

رابعها : أنه يصرف عليها من الأموال كل يوم مالو صرف على عشرات بل مئات البيوت من الفقراء لسد خلتهم وكفاهم مئونة التسول ودفع عنهم الفاقة والاحتياج .

خامسها : أن إضاعة المال حرام ، ولو لم يصرف على الفقراء فإن الاحتفاظ

به لمصالح أخرى أولى من صرفه على الحيوانات التى جعل الله رزقها فى حريتها فى الغابات .

ويكفى أن الله تعالى جعل ذلك من أشراط الساعة وأنها قائمة عند وجوده فتعلم كل نفس ما أحضرت ، وأنه أيضاً تشبه بالكفار لأنهم الذين أحدثوا هذا وابتدعوه ، والاقتداء بهم فى كل شىء من خواصهم ومبدعاتهم حرام .

إخباره ﷺ بوجود البترول والجاز

(فصل) ومن ذلك بحار الوقود من البترول والجاز التى تستخرج الآن من الأرض فتضرم وتوقد فى الدنيا بأسرها فى السيارات والبوابير البرية والبحرية والطائرات والموتورات والفابرك الكبيرة والصغيرة وماكينات الطحن والخبز والنجارة وغير ذلك مما يبلغ مئات الأصناف وبوابير الطبخ فى البيوت وموتورات الإنارة العامة والخاصة ، وغير ذلك وكله مذكور فى أشراط الساعة ، وأخبر النبى ﷺ بمعادنه وعين مواضعها وسمى البترول ذهباً كما يسمونه اليوم بالذهب الأسود .

ومن العجيب أنه ورد فى بعض طرق الحديث تسميته بكنز ليس من ذهب ولا فضة .

قال الله تعالى (والطور . وكتاب مسطور . فى رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع . والبحر المسجور) .

وقال تعالى (وإذا البحار سجرت) أى أضرمت ناراً ، كما قال على وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعبيد بن عمير وجماعة من أئمة التفسير من السلف .

وغير خاف أن البترول بحار مودعة فى الأرض وقد قدمنا أن أبى بن كعب وابن عباس وأبا العالية وجماعة من السلف قالوا إن هذه فى الدنيا قبل يوم القيامة ، قالوا ذكر الله تعالى فى السورة الكريمة اثنتى عشرة علامة : ستة منها فى الدنيا ، وستة منها فى الآخرة فالتى فى الدنيا آخرها (وإذا البحار سجرت) وما بعدها فهو فى الآخرة كما رواه ابن جرير وابن أبى حاتم ، وإذ هى فى الدنيا وأنها من أشراط الساعة وهى بحار من الزيوت أودعها الله فى بطن الأرض

منذ خلق الله الدنيا ، ولم يهيء استكشافها واستخراجها من الأرض لإضرامها وإيقادها إلا فى وقتنا هذا الذى ظهرت فيه تلك الأشراط الستة المذكورة كلها كما بيناه فى قوله تعالى (وإذا العشار عطلت) بالسيارات (وإذا الوحوش حشرت) فى بساتين الحيوانات وسنبين الباقى قريباً ، تعين أنها المراد .

وأيد ذلك أن البترول يسمى بالذهب الأسود وأن النبى ﷺ أخبر به وأن من المواضع التى سيظهر فيها أرض العراق وأرض فارس وأرض نجد وما والاها كما ورد أنه قريب من الحجاز . وورد تسميته بكنز ليس بذهب ولا فضة فلم يبق شك فى أنه المراد .

ففى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يوشك الفرات أن ينحصر عن كنز من الذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً » .

ورواه مسلم فى صحيحه من وجه آخر عن أبى هريرة بلفظ « لا تقوم الساعة حتى ينحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون » .

إخباره ﷺ بتأميم البترول من أصحابه

وروى مسلم أيضاً من حديث أبى بن كعب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوشك الفرات أن ينحسر عن جبل من ذهب فإذا سمع به الناس ساروا إليه فيقول من عنده لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله فيقتتلون عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون » وهكذا رواه أحمد فى مسنده من حديث أبى بن كعب وكذلك رواه هو وأبو داود والترمذى من حديث أبى هريرة وكلهم ذكروه بلفظ : الكنز أولا ثم عقبوه بالرواية التى فيها الجبل ، إلا أنه وقع عند أحمد فى كثير من طرقه : فيقتتلون فيقتل من كل عشرة تسعة ويبقى واحد والمراد الكثرة دون التحديد .

فانظر إلى قوله ﷺ « فيقول من عنده لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله فإنه إخبار بالتأميم الذى صارت حكومات البلاد التى فيها البترول يفعلونه ، ويقولون نفس هذه المقالة التى حكاها النبى ﷺ ، ولا بد أيضا من

وقوع هذه الحرب التى وصفها ﷺ من أجل البترول ، فإن بوادر الخلاف بين أمريكا وروسيا من أجله قائمة ، فإذا وقعت الحرب فسوف تكون بالقنابل الذرية المبيدة للبشر والتى لا ينجو منها إلا واحد من المائة كما قال ﷺ

وهذا فى بترول العراق ، وإيران معدودة من أرض العراق بل هى عراق العجم .

وقد وردت الإشارة إلى بترول إيران بخصوصها .

فروى أبو الغنائم الكوفى فى كتاب الفتن من حديث على عليه السلام قال : ويحاً للطالقان فإن لله فيه كنوزاً ليست من ذهب ولا فضة ، والطالقان من قزوين وتلك ناحية وجود البترول .

وانظر إلى قوله « فيه كنوز ليست من ذهب ولا فضة » يأخذ العجب والاندهاش من هذا التصريح المطابق للواقع حرفاً بحرف .

وأما بترول نجد والبصرة ففى مستدرك الحاكم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : « تخرج معادن مختلفة معدن منها قريب من الحجاز يأتيه من أشرار الناس » وهذا الحديث وإن كان موقوفاً إلا أن له حكم الرفع بل قد ورد مرفوعاً صريحاً إلا أنه ليس فيه تعيين المكان .

فروى أحمد فى مسنده من حديث رجل من بنى سليم سمع النبى ﷺ قال « ستكون معادن يحضرها شرار الناس » .

ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تظهر معادن كثيرة لا يسكنها إلا أراذل الناس » .

فهذه المعادن هى آبار البترول التى ما ظهرت إلا قرب قيام الساعة الذى هو وقتنا هذا ، أما معادن الذهب والفضة فكانت موجودة من أول الدنيا بكثرة لأن الذهب الذى كان عند الأقدمين كثير جداً .

ويؤكذا ذلك قوله ﷺ « يحضرها شرار الناس » فإن معادن البترول لا يستخرجها ويحضرها إلا الكفار الذين هم شرار الناس وقوله ﷺ « يحضرها »

هو بضم الياء وفتح الحاء وكسر الضاد المشددة أى يهيئها للاستعمال ويجعلها حاضرة لذلك صالحة لما حضرت له .

ويشير إلى البترول أيضاً قوله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها) الآية . فإنها أخرجت ملايين الأطنان من البترول والغاز وهو أعظم ثقل فيها عندما زلزلت أى حركت بالآلات وفتح فيها آبار البترول والغاز (وقال الإنسان مالها) تعجباً مما تخرجه من ذلك فعند ذلك تحضر الساعة أو إذا زلزلت الأرض زلزالها الموعود به وهو الزلزال الكثير الذى يحدث آخر الزمان كما قال النبى ﷺ « وتكثر الزلازل » كما فى أحاديث صحيحة متعددة وقد صارت تحدث بكثرة فى هذا الوقت الذى أخرجت فيه الأرض أثقالها من البترول وقال الإنسان ما لها يكثر زلزالها ، وهذا كله واقع . فيترقب ما بعده ، فان الزمان بالنسبة إلى علم الله تعالى شىء واحد ، والله تعالى يجمع بين الأمور المتباعدة فيسوقها مساقا واحداً لتحقق الجميع وحضوره فى علمه سبحانه وتعالى .

إخباره ﷺ بزوال الجبال عن أماكنها فى التنظيم
وتعبيد الطرق للسيارات وبوابير سكة الحديد

(فصل) ومن ذلك زوال الجبال عن أماكنها للدواعى الداعية إلى ذلك من تعبيد الطرق للبوابير الحديدية والسيارات وتوسيع الطرق وضواحى المدن وغير ذلك مما هو واقع الآن فى كثير من أقطار الأرض كما هو مشاهد ومعلوم.

قال الله تعالى (وإذا الجبال سيرت) وقد قدمنا أن هذا فى الدنيا قبل قيام الساعة ، وتسييرها زوالها من أماكنها .

وروى أحمد مسنده من حديث سمرة بن جندب فذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ فى صلاة الكسوف وخطبته بعدها وفيه قوله ﷺ « وايم الله لقد رأيت منذ قمت أصلى ما أنتم لاقون فى أمر دينكم وآخرتكم ، وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الدجال » فذكره وذكر حرب المسلمين لليهود معه فى فلسطين ثم قال « ولن يكون ذلك حتى ترون

أموراً يتفاقم شأنها فى أنفسكم وتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكراً ، وحتى تزول الجبال عن مراتبها ثم على أثر ذلك القبض » ورواه البزار والطبرانى بلفظ « لا تقوم الساعة حتى تروا أموراً عظاماً لم تكونوا ترونها وحتى تزول الجبال عن أماكنها » .

وروى أحمد من حديث عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ عن عيسى عليه السلام ليلة الإسراء فى ذكر أمارات الساعة وفى آخر الحديث قوله « ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم » ثم قال : « ففيها عهد إلى ربى عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعة كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهاراً » .

فهذا النسف غير المذكور فى قوله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً) الآية فإن ذلك بعد قيام الساعة يوم تصير الجبال كالعهن المنقوش وهذا قبل قيام الساعة بل هو من أشراطها وعلاماتها الدالة على قرب قيامها .

ويؤيد هذا وقوع هذا النسف كل يوم فى سائر الدنيا بالألغام والحفر بالآلات ومد الأرض ذات الجبال مد الأديم حتى ينزل عيسى عليه السلام فيجدهم على ذلك .

إخباره ﷺ بالكهرباء والاستنارة بها

(فصل) ومن ذلك الكهرباء والاستنارة بها فى الدور والطرق وفى الأسفار على البوابير والسيارات — فهى — والله أعلم — المراد بقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) فقد قدمنا عن الصحابة وغيرهم من التابعين أنها من العلامات الواقعة فى الدنيا قبل قيام الساعة ، وانكدار النجوم ضعف نورها أو ذهابه بالكلية عند وجود النور الكهربائى والاستغناء به فى الطرق والأسفار عن نورها والاهتداء به فى ظلمات الليل دونها فإن الناس قبل ظهور النور الكهربائى ما كانوا يهتدون فى ظلمات الليل فى الأسفار إلا بالنجوم ، فلما ظهرت الكهرباء انكدرت أنوارها واستغنى الناس عنها ، كما عطلت الإبل واستغنى الناس عنها أيضاً بالسيارات وبوابير السكة الحديدية

وذكر الله تعالى ذلك أيضاً بقوله (وإذا العشار عطلت) كما سبق بيانه .

ويؤيد هذا ويزيده وضوحاً أن الله تعالى عبر عن الشمس بالتكوير دون الانكدار وذهاب النور ، لأن أنوار الكهرباء مهما عظمت قوتها لا تؤثر على نور الشمس، بل بالعكس فإن الشمس هي التي تؤثر في أنوار الكهرباء فلا يظهر لها أثر مع سلطان الشمس بخلاف النجوم .

إخباره ﷺ بإنزال المطر الاصطناعي

(فصل) ومن الأمور العظام التي أخبر ﷺ أن الساعة لا تقوم حتى نراها إنزال المطر الاصطناعي من السماء بآلات معدة لذلك وقد اشتهر أنها جربت في أقطار متعددة فصحت وتم سقي الأرض بها .

وقد أخبر النبي ﷺ بها في أحاديث الدجال الصحيحة المخرجة في الصحيح كحديث النواس بن سمعان وغيره ؛ ولا يخفى أن الدجال يهودي وأن اليهود ينتظرون خروجه كل يوم ، وأن الله تعالى ما يسر لهم الدولة في هذا الوقت إلا توطئة لخروجه وامتحان العالم بفتنته التي سبق بها علمه، كما لا يخفى أيضاً أن دولة اليهود لغناها وتركبها من الأفراد الناشئين في دول أوربا المتعلمة أصبحت على حداثتها من الدول التي لها ارتباط وثيق بالدول المتحضرة ، ولديها من مخترعاتهم ما يسد حاجتها ويجعلها في ركاب الدول المتمدنة فإذا خرج إمامها الأعور الكذاب فسوف يجد لديه كل ما يحتاج من تلك المخترعات للقيام بمهمته من إضلال العالم وإكفاره وإغوائه ومحاربة من عارضه أو قاوم دعوته من آلات الحرب والسفر والتنقل كالطائرات والسيارات وغيرها من الآلات التي منها ما ينزل المطر من السماء ومنها العربات الحاملة للماء والعربات الحاملة للخبز وماكينات العجين والخبز والطبخ وما إليها مما هو موجود الآن لدى سائر الدول لاستعمالها في الحرب فيكون الجيش مزوداً بجميع ما يحتاج إليه من ذلك حتى عربات غسل الثياب وتنظيفها في الوقت القريب بحيث يرمى الثوب وسخاً في جهة ثم بعد هنيهة يخرج غسيلا نظيفاً مكوياً مطوياً

جاهزاً للبس ، كما أن القمح يلقى فى ماكينة فيطحن وينخل ويعجن ويخبز ويطبخ ويخرج جاهزاً ، فهذا هو الذى سيكون مع الدجال الأعور إلا أنه يزيد على ذلك بما أوتى من السحر اليهودى المعروف ليتم أمر الله تعالى فى فتنة من شاء الله تعالى فتنته به . عصمنا الله تعالى منها آمين .

وكل ماذكرنا أشار النبى ﷺ إليه فى أحاديث متعددة .

فأما سفره بالطائرات والسيارات وطوافه الأرض بذلك فقد قدمنا الأحاديث الواردة بذلك فى ذكر السيارات والطائرات .

وأما آلة إنزال المطر وعربات نقل الماء والخبز والعجين وغيرها فورد ذكرها فى أحاديث منها حديث أسماء بنت يزيد أنها سمعت رسول الله ﷺ وهو بين ظهرانى أصحابه يقول: « أحذركم المسيح وأنذركموه وكل نبى قد حذره قومه وهو فيكم أيتها الأمة وسأحكى لكم من نعته مالم تحك الأنبياء قبلى لقومهم وهو أعور وليس الله بأعور ، بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، أكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب ، ترون السماء تمطر وهى لاتمطر ، والأرض تنبت وهى لاتنبت ، ويقول للأعراب ماتبغون منى ألم أرسل السماء عليكم مدراراً » الحديث رواه الطبرانى فى الكبير بسند حسن .

وفى مسند أحمد من حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « يخرج الدجال فى خفقة من الدين وإدبار من العلم وله أربعون ليلة يسيحهم فى الأرض ، اليوم منها كالسنة ، واليوم منها كالشهر ، واليوم منها كالجمعه ، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً فيقول للناس أنا ربكم وهو أعور وإن ربكم عز وجل ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر بهجاء يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، ويرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عز وجل عليه ، وقامت الملائكة بأبوابهما ، معه جبال من خبز والناس فى جهد ، إلا من اتبعه ومعه نهران أنا أعلم بهما منه ، نهر يقول الجنة ونهر يقول النار ، فمن أدخل الذى

يسميه الجنة فهو النار، ومن أدخل الذى يسميه النار فهو فى الجنة. قال: وتبعث معه شياطين تكلم الناس فتقول للناس أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب ».

فهؤلاء الناس الذين يقول لهم هذا هم الأعراب سكان البادية كما صرح به النبى ﷺ فى حديث أسماء السابق قبل هذا وهو من دقة وصفه ﷺ للحالة. والأعراب سكان البادية لا يعرفون معنى المخترعات ولا حقيقة ما معه من الآلات، ولذلك لم يفعل هذا فى المدن وبين من له خبرة بتلك الآلات التى بها ينزل المطر الاصطناعى، وكذلك جبل الخبز الذى معه ونهر الماء ليس هما جبلا ولا نهراً حقيقيين، وإنما كل ذلك مصطنع ومحمول معه فى العربات والآلات المتنقلة معه فى البوادى والناس فى مجاعة وحاجة لأنه تقدمهم قبل خروجه خمس سنين أو ثلاث سنين كما فى رواية أخرى لم تمطر السماء فيهم شيئاً. وغالب من تصيبهم المجاعة سكان البوادى. فالظاهر من قوله ﷺ « أكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب » أنهم المبتلون بفتنته مع ضعفاء العقول والإيمان كالنساء، أما اليهود فهم قومه لعنهم الله.

والدليل القاطع على ما ذكرناه أن فى صحيحى البخارى ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة قال « ما سأل أحد رسول الله ﷺ عن الدجال أكثر مما سألته وأنه قال لى ما يضرك؟ قلت إنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء قال: هو أهون على الله من ذلك ».

فهذا ليس معناه إنكار وجود ذلك معه، فإنه ﷺ هو المخبر بذلك كما فى أحاديث أخرى، وإنما هو إنكار لكون ذلك على الحقيقة وأن الله تعالى سخر له السماء حتى تطيعه وتمطر عليه مطراً حقيقياً متى شاء، وتجرى معه الأنهار الحقيقية ويمشى معه جبل حقيقى من خبز، بل كل ذلك بالأسباب العادية التى أجراها الله تعالى على يد غيره واخترعها الإفرنج قبل ظهوره فاستغلها وادعوته ليتأيد بها ويلبس على الأغمار ويظهرها لهم مظهر المعجزة، مستعيناً على ذلك بما معه من السحرة والشياطين المساعدين له فى الضلال والإغواء، ولذلك قال العلماء فى شرح هذا الحديث، هو أهون على الله من ذلك أى لا يجعل له ذلك حقيقة

وإنما هو تخييل وتشبيه على الأبصار ، فيرى أن معه ماء وليس معه ماء ويرى أن معه جبال خبز وليس معه شئ .

ولا يخفى بطلان هذا التأويل وفساده، فقد جاء فى الأحاديث الأخرى أنه يطعم ويسقى من اتبعه وآمن به، وأنه ينزل المطر حتى يصدقه الأعراب وينبت الربيع من ذلك المطر وتسمن دوابهم وتدر الألبان بعد جدب الأرض الذى كان قبل ذلك ، فكيف يقال مع هذا كله إنه مجرد تخييل وإنما حملهم على هذا عدم مشاهدتهم لهذه المخترعات الجامعة بين تصديق الأحاديث التى فيها إثبات ذلك وتصديق الحديث الذى فيه أنه أهون على الله من ذلك وهو ما ذكرناه والحمد لله.

إخباره ﷺ بآلة الحرث والدرس

(فصل) ومن ذلك آلات الحرث والدراس التى ظهرت حديثاً فقد وردت الإشارة إليها فى حديث أبى أمامة الأنصارى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لا تقوم الساعة حتى ترجعوا حراثين » رواه الطبرانى فى الكبير .

فقوله ﷺ ترجعوا حراثين معناه يكثر فيكم من يشتغل بالحراثة ويتخذها وسيلة للتكسب والاتجار ، وإلا فالحرث موجود من أول الدنيا ، والمراد الإشارة إلى ظهور هذه الآلات التى سهلت حرث الأرض الواسعة التى كان يعجز المرء عن حرث عشرها ، بل ونصف عشرها بالدواب ، فلما ظهرت آلات الحرث وسهلت ذلك رغب الناس فى الحرث لما يدر عليهم من الأرباح الكثيرة التى قلما توجد فى تجارة أخرى حتى صار كثير من الناس يبيع أملاكه أو يترك تجارته ويقبل على زرع الأرض ولو باستئجارها فصاروا بذلك حراثين والله أعلم بمراد رسوله .

إخباره ﷺ بظهور آلات التصوير

(فصل) ومن ذلك آلات التصوير التى ملأت الدنيا صوراً وصورت بها المساجد ولا سيما الحرمين الشريفين كما هو معلوم ومشاهد فى كثير من المنازل والبيوت ، وقد أشار ﷺ إلى ذلك .

فروى أبو نعيم فى الحلية من حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ « من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة » فذكر الحديث وفيه « وحليت المصاحف وصورت المساجد وطولت المنائر » الحديث فالمساجد لم تصور إلا بعد ظهور آلات التصوير ، ففى هذا الحديث إخبار بتصوير المساجد بها وباتخاذ صور المساجد وتعليقها فى البيوت والدكاكين ، فإنك ترى فى كثير منها صورة الحرم المكى والمدنى ومسجد بيت المقدس ، وفى تلك الصور تظهر المنائر العالية الطويلة كما قال ﷺ .

إخباره ﷺ بالتنظيم وتوسيع الطرق فى المدن بهدم البيوت وبعض المساجد أحياناً

(فصل) ومن ذلك التنظيم وتوسيع الطرق فى المدن بهدم البيوت وبعض المساجد التى تعترض فى تلك الطرق وإبدالها بمساجد أخرى ، وربما لا تعوض ويستغنى عنها بالكلية ، ولم يكن هذا من قبل وإنما حدث فى هذا العصر من أشراط الساعة .

روى الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود قال : قال « رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة ، وحتى تتخذ المساجد طرقا فلا يسجد لله فيها » الحديث ، وورد نحو هذا من حديث أنس بن مالك كما سيأتى قريباً .

فقد اتخذت طرقا ولم يعد يسجد لله فيها أحد، لأنها صارت طرقا ولم تبق مساجد .

إخباره ﷺ بآلة الرصد للأهلة والنجوم

(فصل) ومن ذلك آلات الرصد التى يرى بها الهلال مهما كان دقيقا عند أول ظهوره ، والنجوم على نسبة كبيرة من العظم ، لأن تلك الآلات تقرب البعيد وتكبر الصغير فيرى الهلال بها قبل أن يرى بالعين .

روى الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى فى الأفراد من حديث أنس ابن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « من اقتراب الساعة أن يرى الهلال

قُبلا فيقال لليلتين ، وأن تتخذ المساجد طرقا ، وأن يظهر موت الفجأة » .

فقوله ﷺ قبلا هو بفتح القاف والباء ومعناه أنه يرى ساعة ما يطلع لعظمه كما ذكر ابن الأثير فى النهاية ، ونقله القرطبى فى التذكرة عن الهروى وزاد قوله : ويوضحه ما جاء فى حديث آخر « من أشراط الساعة انتفاخ الأهلة ويقال رأيت الهلال قبلا وقبلا يعنى بفتح القاف وكسرها أى معاينة .

وحديث انتفاخ الأهلة الذى استدل به ورد من طريقين من حديث أبى هريرة ومن حديث ابن مسعود .

فحديث أبى هريرة رواه الطبرانى فى الصغير ولفظه قال رسول الله ﷺ « من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة وأن يرى الهلال الليلة فيقال هو ابن ليلتين » .

وحديث ابن مسعود رواه الطبرانى فى الكبير لفظه قال رسول الله ﷺ « من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة » .

وهذا الحديث صريح فى الآلة المذكورة أيضاً . فإن انتفاخ الأهلة ليس معناه الانتفاخ الحقيقى وإنما معناه أنها ترى كبيرة فى الوقت الذى كانت ترى فيه صغيرة ، وهو اليوم الأول الذى يقع فيه ظهورها عقب انفصالها عن الشمس ، فإنها فى ذلك اليوم ترى صغيرة بالأعين ، ولكنها ترى كبيرة بالآلة كأنها منتفخة حتى يقول الذين يتولون رؤيتها بتلك النظارات المعظمة إن الهلال لليلتين وإنما هو لليلة واحدة ، على أن هذه الزيادة قد تكون مدرجة فى الحديث من بعض الرواة ذكرها على حسب مافهمه بدليل عدم اتفاق الطرق كلها على ذكرها ، وإنما الحديث « من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة » كما فى الحديث الآخر .

فصـــل

وكون حديث انتفاخ الأهلة بمعنى الحديث الذى صدرنا به وهو أن يرى الهلال قبلا إنما هو على أن الرواية فيه بالخاء المعجمة : أما رواية من رواه انتفاج الأهله بالجيم وهو الصحيح فى حديث ابن مسعود وقد يكون هو الواقع فى حديث غيره أيضاً . فإنما يفيد معنى آخر من الأمور التى حدثت فى عصرنا

هـــذا أيضاً وهو وصول خبر الهلال إلى الأقطار البعيدة بالتلغراف والتليفون والراديو . لأن ذلك معنى الانتفاج فى اللغة ، وهو من قولهم انتفجت الأرنب إذا ثارت من مجثمها وأسرعت فى العدو ، فكلمة انتفجت تدل على المعنيين معاً ، ففى اللسان : نفج الأرنب إذا ثار ونفجت وهو أوحى عدوها أى أسرعه ، وأنفجها الصائد أثارها من مجثمها ، وفى حديث قيلة فانتفجت منه الأرنب ، ثم قال تبعاً لابن الأثير فى النهاية . وفى حديث أشراط الساعة انتفاج الأهلة روى بالجيم ، من انتفج جنبا البعير إذا ارتفعا وعظما خلقة ، وهذا على حسب ما فهموه .

والواقع يدل على خلافه ، فإن الحديث وارد فى أشراط الساعة وقرب وقتها الذى هو وقتنا هذا . فنحن أدرى بمعناه منهم لأننا نشاهد ما أخبر به النبى ﷺ عيانا ، فمعنى انتفاج الأهلة ثورانها من مكانها وعدوها وسرعة وصول خبرها إلى الأماكن البعيدة عن التى رؤيت فيها ، فإذا رؤى الهلال بالقاهرة مثلا وكانت رؤيته بواسطة النظارة المعظمة ثم أذيع خبره بالراديو فوصل إلى أنحاء العالم كله فى نفس الوقت فقد تحقق انتفاجه كانتفاج الأرنب إذا أثيرت من مكمنها وأسرعت فى العدو .

فيكون الحديث دالا على الأمرين ، وجود النظارات المعظمة والمقربة لرؤية الهلال ، وهى المثيرة له من مكانه قبل ظهوره بالأعين ، ووجود الآلات الموصلة خبره إلى الأقطار البعيدة بسرعة كالتليفون والراديو والتلغراف .

إخباره ﷺ بقلم الحبر الذى ظهر فى هذا الزمان
يحمله الناس معهم

(فصل) روى أحمد والبزار والطحاوى والطبرانى وغيرهم من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أشراط الساعة أن يظهر القلم » .

وروى ابن المبارك وغيره من مرسل الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ويفيض المال ويظهر القلم وتكثر التجارة » .

وروى النسائى من حديث عمرو بن تغلب عن النبى ﷺ أنه قال: «إن من أشراط الساعة أن يفشو المال وتفشو التجارة ويظهر القلم» الحديث .

وقد حمله الناس قديماً على ظهور الكتابة والكتاب . ولذلك خرجه ابن قتيبة فى عيون الأخبار فى باب الكتاب والكتابة وليس كما فهموا ، فإن الكتابة فشت فى القرن الثانى فى عصر بنى العباس منذ أزيد من ألف سنة، والمراد أشراط الساعة القريبة من ظهورها ، وما ذاك إلا فى عصرنا هذا الذى ظهر فيه كل ماذكره النبى ﷺ من أشراطها الصغرى فتعين غير ماقالوه وهو عندنا يدل على أمرين :

أولهما : ظهور قلم الحبر المعروف بمصر بقلم الأبنوس ، فانه ظهر فى وقتنا هذا ظهوراً فاشياً حتى لايكاد يوجد أحد ليس معه منه إثنان أوثلاثة فى جيبه بحيث يوجد منه فى العالم المليارات ، وكان ظهوره فى الوقت الذى كثر فيه المال وفشت التجارة فشوا لم يعهد له نظير فيما سلف من الأزمان ، تدل ذكره معهما على أنه المراد .

ثانيهما : إن حمل الحديث على المجاز فهو إشارة إلى المدارس التى انتشرت فى العالم وانتشر بها تعليم الكتابة بالقلم انتشاراً لم يكن معهوداً من قبل لكن هذا مع كونه مجازاً مخالف للفظ الحديث أيضاً ، لأن فيه ظهور القلم لا انتشاره فاذا تمسكنا بلفظ الظهور وحقيقة القلم كان الحديث فى ظهور القلم الأبنوس قطعاً .

إخباره ﷺ بالبنوك وابتلاء جل الناس أو كلهم بمعاملتها

(فصل) ومما ظهر فى هذا الزمان وابتلى به عامة أهله وجود البنوك التى لاتتعامل إلا بالربا ، وقد تدخلت فى كل شىء من مسائل التجارة والمعاملات المالية حتى أصبحت كل الأموال الموجودة بيد الناس صادرة عنها وواصلة عن طريقها، إما من طريق التجارة،وإما من طريق الحكومات التى تضع فيها أموالها

ومنها تدفع للموظفين أجورهم ، وحتى الأئمة والخطباء والمؤذنون والعلماء يأخذون من تلك الأموال ، فشاع بذلك الربا وانعدم الحلال من الدنيا أوكاد بسبب هذه البلية العظمى والرزية الكبرى وقد أخبر النبي ﷺ بذلك .

فروى أبو داود وابن ماجة والحاكم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ليأتين على الناس زمان لايبقى منهم أحد إلا آكل الربا ، فمن لم يأكله أصابه من غباره » .

وقال الحارث بن أبي أسامه في مسنده : حدثنا الحسن بن قتيبة ثنا عباد ابن أبي راشد عن سعيد بن أبي خيرة عن الحسن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « سيأتي على الناس زمان يأكلون فيه كلهم الربا. فقلنا يارسول الله كلهم ؟ قال : « نعم ومن لم يأكله أصابه من غباره » .

وقال الحسن بن عرفة في جزئه : ثنا روح بن صلاح ثنا سفيان الثوري عن منصور عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « لاتقوم الساعة حتى يعز الله عزوجل فيه ثلاثة . درهماً من حلال ، وعلماً مستفاداً وأخاً في الله » .

ورواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية من هذا الوجه بلفظ « سيأتي عليكم زمان لايكون فيه شيء أعزمن ثلاثة أخ يستأنس به . أو درهم من حلال ، أو سنة يعمل بها » .

وروى أبو نعيم في الحلية أيضاً من حديث ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « أقل مايوجد في آخر الزمان درهم من حلال ، أوأخ يوثق به» فهذا واقع كما قال النبي ﷺ ، وكان العلماء قديماً يحملون هذه الأحاديث على قلة العلم بأحكام المعاملات من بيع وشراء وصرف ومداينة وغيرها فيقع منهم الربا بسبب ذلك ، وهذا وإن كان واقعاً إلا أنه يخص التجار والمتعاملين معهم ولا يعم سائر الناس كما قال النبي ﷺ « لايبقى أحد من الناس إلا آكل الربا» وإنما وقع ذلك بسبب البنوك التي عم أمرها سائر الأموال فلم يبق درهم حلال إلا أندر من النادر كما قال ﷺ .

إخباره ﷺ بالعمارات الضخمة وتنظيم وإصلاح المدن بالأنوار وغير ذلك من أنواع الحضارة وزينة الأرض

(فصل) ومن ذلك زينة الأرض وحضارتها بتعبيد الطرق وإحداث الشوارع وإضاءتها بالأنوار ووجود الأنوار ووجود الأبنية الطويلة ذات الطبقات المتعددة وغير ذلك من أنواع الزينة والحضارة .

وقد ذكر الله تعالى ذلك من أشراط الساعة الدالة على قربها جداً فقال تعالى (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) .

وروى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن وحتى يتطاول الناس فى البنيان » الحديث .

وروى الطبرانى فى الكبير من حديث ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : قال نبى الله ﷺ لنا ذات يوم « ما أنتم إذا مرج الدين وسفك الدماء وظهرت الزينة وشرف البنيان » .

إخباره ﷺ بكثرة الأمراض الغريبة التى ظهرت فى هذا الزمان ولم تكن معروفة من قبل

(فصل) ومما ظهر كثرة الأمراض الغريبة التى لم تكن معروفة من قبل لا فى النوع ولا فى الكثرة ، فالمستشفيات على كثرتها وكبرها عامرة بالمرضى البالغ عددهم الآلاف ، وجل أمراضهم لم تكن معروفة ولا ذكر أكثرها الأطباء المتقدمون ، حتى صار كثير من الناس ينسب أسبابها إلى المأكولات المجلوبة من بلاد الإفرنج كالسكر والسمن الإصطناعى والزيوت المستخرجة من أنواع من الخضروات والربيع ونحو ذلك ، ومنهم من يجعل السبب فيها تسمم الهواء بالغازات المسمومة من بقايا الحروب وغير ذلك من التأويلات الباطلة .

والواقع أنها من أشراط الساعة وسببها ظهور الفاحشة وانتشارها كما أخبر به النبي ﷺ .

فقد روى الحاكم بسند صحيح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال « إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش » ، ثم قال « والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وسوء الجوار وقطيعة الأرحام وحتى يخون الأمين ويؤتمن الخائن » الحديث .

وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال (والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل) الحديث .

وروى الطبرانى فى الكبير من حديث أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يكون القرآن عاراً ويتقارب الزمان وذكر أشياء منها ، ويجهر بالفحشاء وتزوى الأرض زياً » .

فهذا إخباره ﷺ بظهور الفحش وأنه من أشراط الساعة وهو واقع .

وأما كونه السبب فى ظهور هذه الأمراض الموجودة اليوم .

فعن عبدالله بن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ : « كيف أنتم إذا وقعت فيكم خمس وأعوذ بالله أن تكون فيكم أو تدركوهن: ماظهرت الفاحشة فى قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أخلافهم» الحديث رواه ابن ماجة والبزار والبيهقى فى شعب الإيمان وصححه الحاكم فأخبر ﷺ بظهور الأوجاع التى لم تكن معروفة عند الأسلاف بسبب إعلان الفاحشة وهو الواقع، أعلنت الفاحشة حتى صار الناس يتسافدون فى الطرق فظهرت الأمراض التى لم تكن معروفة من قبل .

إخباره ﷺ بظهور الفالج والبواسير وموت الفجأة

(فصل) ومن تلك الأمراض التى شاعت اليوم الفالج والبواسير وموت الفجأة أيضاً ، وقد ورد الإخبار بها بخصوصها .

فقال الدينورى فى المجالسة : حدثنا محمد بن عمر بن إسماعيل الدولابى حدثنا هوذة ابن خليفة حدثنا الحسن بن عمارة عن الحوارى بن زياد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « من اقتراب الساعة أن يفشو الفالج وموت الفجأة » ورواه الطبرانى فى الصغير من طريق آخر من رواية الشعبى عن أنس عن النبى ﷺ قال « من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قبلا فيقال لليلتين ، وأن تتخذ المساجد طرقاً ، وأن يظهر موت الفجأة » .

وروى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية من حديث حذيفة قال: قال رسول الله من اقتراب الساعة كثيرة الطلاق وموت الفجأة » .

وذكر القرطبى فى التذكرة من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: قال على عليه السلام « من اقتراب الساعة ظهور البواسير وموت الفجأة » .

إخباره ﷺ بطغيان النساء

(فصل) ومظاهر طغيان النساء وجرأتهن وطمعهن فى مناصب الرجال العالية ، وأن يكون منهن قضاة ووزراء وسفراء الدولة ، بل ووجودهن فى هذه المناصب فعلا فى بعض الدول وخروجهن فى المظاهرات وجرأتهن على الرجال ، بل وعلى الشريعة بطلبهن ما يخالفها مما يوافق هواهن وشهواتهن ونحو ذلك .

وقد أخبر النبى ﷺ بذلك فقال « كيف بكم أيها الناس إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم ، قالوا يارسول الله إن هذا لكائن ؟ قال: نعم » رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة من طريقين عنه وله طريق ثالث مرسل .

قال ابن وضاح فى البدع : حدثنا أبو البشر زيد بن البشر الحضرمى ثنا ضمام ابن المعافرى عن غير واحد من أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال « كيف بكم إذا فسق شبابكم وطغت نساؤكم وكثر جهالكم » قالوا « وإن ذلك لكائن يارسول الله ؟ قال: وأشد من ذلك، فقد طغى النساء وفسق الشباب بل وكفر بالله وألحد ومرق من سائر الأديان .

إخباره ﷺ بخروج النساء سافرات عاريات متبهرجات لابسات للبرانيط

(فصل) ومن ذلك خروجهن سافرات عاريات متبرنطات .

روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة - يعنى البرانيط - لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» .

وروى أحمد فى مسنده والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث عبدالله بن عمر بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «سيكون فى آخر أمتى رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال يعنى السيارات ينزلون على أبواب المساجد - يعنى يدخلون للصلاة فيها وتبقى السيارات على أبواب المساجد فى انتظارهم - نساؤهم كاسيات عاريات على رؤسهم كأسنمة البخت العجاف إلعنوهن فإنهن ملعونات» .

فالنساء اليوم كاسيات عاريات حقيقة كما قال ﷺ ، وقد رأيت مرة امرأة ماشية فى شارع الغورية وعورتها بادية مع أنها كاسية لأنها كانت لابسة قميصاً من الحرير الأبيض الشفاف وفوقه فستان من الحرير الأحمر الشفاف أيضاً ولم تكن لابسة سروالا ، فكانت عورتها بادية كأنها عارية والناس يتعجبون منها ، ثم رأيت مرة أخرى امرأتين بهذه الصفة فى أحد شوارع الزيتون وعلى رأسهما البرانيط كما قال النبى ﷺ لم يخطىء من وصفهما شيئاً .

إخباره ﷺ باتجارهن مع الرجال فى الدكاكين كما هو شائع الآن ولم يكن معروفا من قبل

(فصل) ومن ذلك وجودهن مع الرجال فى دكاكين التجارة إما موظفات وإما شريكات ومعينات لأزواجهن، فإنى أعرف جماعة من هذا الشباب الفاسد

المتفرنج الملحد العديم الدين والمروءة يأخذون أزواجهم معينات لهم فى دكاكينهم طبق ماأخبر به ﷺ .

فقد روى أحمد والبخارى فى الأدب المفرد والبزار والطحاوى فى مشكل الآثار والطبرانى والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « بين يدى الساعة تسليم الخاصة ، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة » الحديث .

وروى الطبرانى عن العداء بن خالد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لاتقوم الساعة حتى لايسلم الرجل إلا على من يعرف ، وحتى تتخذ المساجد طرقاً ، وحتى تتجر المرأة وزوجها) الحديث .

إخباره بالبوليس فى الطرقات كما جرت به عادة الدول اليوم للمحافظة على النظام

(فصل) ومما حدث كثرة الشرط البوليس فى الطرقات للمحافظة على النظام وقد أخبر به ﷺ أيضاً .

فروى الطبرانى فى الكبير من حديث عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ (أخاف عليكم ستا إمارة السفهاء وكثرة الشرط) الحديث .

وإنما خافها ﷺ على أمته لأن وجود هؤلاء أولا علامة على قرب الساعة وأيضاً فإنه يحدث منهم من الظلم للمارة من الباعة وإذايتهم بدفع الغرامات عليهم ماهو معلوم ، وأيضاً فإنه يكون بأيديهم السياط والعصى الصغيرة فيضربون بها الضعفاء من الناس بأدنى سبب كما وصفهم النبى ﷺ بذلك فى أحاديث متعددة.

منها حديث أبى هريرة المخرج فى صحيح مسلم، وقد مر قريباً بلفظ (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس) الحديث.

وهذه السياط قد تكون من أذناب البقر كالواقع من البوليس الفرنسى فى المغرب وغيره .

ومنها حديث أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ (يخرج فى هذه الأمة فى آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر يغدون فى سخط الله ويروحون فى غضبه) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

إخباره ﷺ بكثرة الأمراء لكثرة الدول التى أحدثها الاستعمار بقصد تفرقة الإسلام

(فصل)وكذلك كثرة الأمراء.فنى جزيرة العرب وحدها ما يقرب من عشرين أميراً أو يزيد ما بين الحجاز والكويت والبحرين واليمن وحضرموت والمحميات التسع والعراق وشرق الأردن ولبنان، وهذا دون باقى البلاد وقد أخبر ﷺ بذلك.

فروى أبو نعيم فى الحلية من حديث عبدالله بن مسعود قال:قال رسول الله ﷺ (كيف أنتم إذا لبستم فتنة فتتخذ سنة يربو فيها الصغير ، ويهرم فيها الكبير وإذ ترك منها شىء قيل تركت سنة) قالوا ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال: (إذا كثر قراؤكم وقلت علماؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الله) ، ورواه الحاكم فى المستدرك ، والدارمى فى مسنده عن عبدالله موقوفاً عليه ، وله حكم الرفع لأن هذا لا مدخل للرأى فيه فهو محمول على سماعه من النبى ﷺ كما صرحت به الرواية الأخرى .

إخباره ﷺ بزعماء الوقت ورؤساء الأحزاب الساقطين الفاسدى الأخلاق

(فصل) ولا يخفى ظهور الأحزاب وزعمائها الذى جلهم زنادقة خونة لله ورسوله ودينه وخونة لأمتهم وأوطانهم ، اتخذوا الزعامة وكلمة الوطن والوطنية حرفة يأكلون بها أموال الناس ، وينالون بما عندهم الحظوة والمنزلة وغالبهم على صلة بالاستعمار خفية يأخذون منهم باسم الزعامة أيضاً الأموال لينفذوا رغباتهم ومقاصدهم من القضاء على الإسلام باسم التجديد والرقى والحضارة ، بل منهم من يكون وسيلة للاستعمار يعملون بإرادتهم وعلى مناهجهم التى ينهجونها لهم فى جميع تصرفاتهم ، إلا أن منهم من يستتر على ذلك

ومنهم من يتقلب معهم بحسب الأحوال والظروف، ومع كونهم أخون أهل الأرض فلا هم لهم إلا تخوين الأمناء ليضللوا بذلك الرأي العام ويصرفوه عن اتهامهم والتطلع إلى خياناتهم ، ثم هم مع ذلك أراذل الناس وسقطتهم ديناً وأخلاقاً ، وكل هذا ذكره النبي ﷺ حرفاً حرفاً ووصفهم وصفاً دقيقاً لا يخطىء من حالهم شيئاً كأنه يشاهدهم ﷺ ، فروى الترمذي من حديث علي عليه السلام : عن النبي ﷺ قال: « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة فقد حل بها البلاء » فذكر الحديث وفيه : « وكان زعيم القوم أرذلهم » الحديث . وهذا يشير إلى أفراد مخصوصين من هؤلاء الأراذل كبعض زعماء مراكش ، فإنه أرذل خلق الله لاتصافه بأرذل رذيلة وأنقص نقيصة تعرفها البشرية مع كونه معدن الرذائل والنقائص من حسد وحقد وكبر وغطرسة وحماقة وغرور وجهل وفسق وإلحاد ومالا يكاد يحصى، إلا أن الذي أشار إليه ﷺ بأفعل التفضيل مما صيره أرذل الناس على الإطلاق هي الرذيلة الكبرى والنقيصة العظمى ، والداء الخبيث الذي ماابتلى الله تعالى به إلا من أراد سقوطه من عين الله وعين عباده ، وذلك الداء أول من فضحه به دكتور من أصدقائه متصل بالجامعة العربية وهو الذي أبلغ ذلك عنه حيث طالبه بها ليشفي علته ، ومنها شاع الخبر بمصر ، وكان شاب مغربي بمصر يعطيه ذلك الزعيم مرتباً شهرياً نظير فعل هذه العملية الخبيثة به ولما كان زعيمهم بهذه الصفة من الرذيلة ، والنذالة حل بالمغرب البلاء ، كما قال النبي ﷺ فإنه يقاسي من أنواع البلاء وألوان العذاب مالا يخطر ببال ، ولارآه قطر من الأقطار حتى من أخبث دول الاستعمار ، كفرنسا وإيطاليا . كل ذلك بسبب خبث هذا النذل الدنيء اللئيم وحزبه الملعون الممقوت ، كما سنذكر ماورد فيه عن النبي ﷺ قريباً ، أما ماورد في هؤلاء الزعماء غير ماتقدم :

فروى أحمد وأبو يعلى والطحاوي في مشكل الآثار والطبراني في الأوسط من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « إن بين يدي الساعة سنين خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين

ويتكلم فيها الرويبضة . قيل : وما الرويبضة قال : الفاسق يتكلم فى أمر العامة ، فما هو الفاسق الأرذل المتقدم الإشارة إليه يتكلم فى أمر العامة ، كما قال ﷺ .

وروى البزار والطحاوى فى مشكل الآثار من حديث عمرو بن عوف مثله إلا أن فى : قيل يارسول الله : وما الرويبضة قال : الامرؤ التافه يتكلم فى أمر العامة ، وقال الطحاوى : قيل وما الرويبضة يارسول الله قال : من لا يؤبه له ، وكذلك رواه الطبرانى من حديث عوف بن مالك أيضاً .

ورواه أبو بكر الشافعى فى الغيلانيات من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ سيأتى على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل : وما الرويبضة قال : الرجل التافه ينطق فى أمر العامة ، صدق رسول الله ﷺ فلا أتفه على وجه الأرض من المبتلى بذلك الداء الخسيس نعوذ بالله .

وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت ، قالوا يارسول الله وما الوعول وما التحوت ؟ قال الوعول وجوه الناس وأشرافهم ، والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم » صدق رسول الله ﷺ من نظر إلى حكام المغرب ومن بيدهم الحل والعقد من رجال الأحزاب ، ولا سيما حزب الخبيث شاهد هذا عيانا ، نسأل الله اللطف بعباده .

إخباره ﷺ بظهور الشيوعية

(فصل) ومن ذلك ظهور الشيوعية التى تدعو إلى المشاركة فى الأموال والممتلكات كما هو الموجود بروسيا التى تروج الدعاية إليها فى سائر أقطار الدنيا وقد أخبر النبى ﷺ بذلك .

فروى نعيم بن حماد فى كتاب الفتن وابن عساكر فى التاريخ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « لن تنكفئوا بخير

ما استغنى أهل بدوكم عن أهل حضركم وليسوقنهم السنون أو السنيات حتى يكونوا معكم فى الديار . ولا تمتنعوا منهم لكثرة مايسير عليكم منهم ، يقولون طالما جعنا وشبعتم ، وطالما شقينا ونعمتم فواسونا اليوم » الحديث.

فهذا وصف الشيوعيين الذين جلهم من العمال أهل البوادى والفقر والجوع ، وهذه هى مطالبهم اليوم وهى المشاركة فى الدور والأموال والنساء .

ويشير إلى ذلك أيضاً إخباره ﷺ بكثرة أولاد الزنا وأن ذلك من أشراط الساعة .

فروى الطبرانى من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « من أعلام الساعة أن يكون الولد غيظاً والمطر قيظاً وأن تفيض الأشرار فيضاً ومن أعلام الساعة ملك الصبيان ومؤامرة النساء وأن يعمر خراب الدنيا ويخرب عمرانها وأن تظهر المعازف والكبر ويشرب الخمر وأن يكثر أولاد الزنا » . وورد فى حديث آخر عند الحاكم فى المستدرك من حديث معاذ بن أنس كثرة أولاد الخبث ، أى الزنا .

بل قال العلماء فى معنى حديث أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم إذا كثر الخبث : أنه الزنا أو كثرة أولاد الزنا كثرتها رسمياً إنما ظهرت مع الشيوعية فى روسيا والدول الموافقة لها على ذلك ، فإن جميع أولادهم أولاد زنا وهم ينسبون إلى الدولة لا إلى آبائهم كما هو معروف عن الشيوعية .

إخباره ﷺ بدولة روسيا وعداء الغربيين لها

(فصل) وقد أشار ﷺ إلى روسيا وحالها اليوم وعدائها للغربيين . فروى أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه أيضاً من حديث ذى مخمر رجل من أصحاب النبى ﷺ وهو ابن أخى النجاشى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « تصالحون الروم صلحاً آمناً حتى تغزون أنتم وهم عدواً من ورائهم فتنصرون وتغنمون وتنصرفون » الحديث .

تصالحتهم للروم هي هذه المعاهدات التي تعقدها اليوم أمريكا وانجلترا مع العرب استعداداً لمحاربة عدو الروم وهم الأمريكان والإنجليز من ورائهم وهو روسيا كما هو ظاهر ، إذ ليس للروم عدو من ورائهم غيرها .

ثم بعد انتصار الغربيين على روسيا كما تنبأ به كثير من المنجمين تصديقا لهذا الحديث سيغدر الغربيون بالعرب ويخدعونهم ويحاربونهم كما هو شأنهم وكما هي عادتهم معهم فقد خدعوا وغدروا بهم مراراً عديدة وسيفعلون ذلك بعد انتصارهم على روسيا كما نص عليه النبي ﷺ في بقية هذا الحديث: إذ يقول «فتنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول فيقول قائل من الروم غلب الصليب ويقول قائل من المسلمين : بل الله غلب فيتداولانها بينهم فيثور المسلم إلى صليبهم فعند ذلك تغدر الروم فيجتمعون للملحمة فيقتتلون فيكرم الله العصابة بالشهادة .

وبوادر الخلاف بين روسيا والغربيين آيلة إلى هذا وإلى ما بعده والله أعلم .

إخباره ﷺ بكثرة الروم في الدنيا وامتلاء أوربا بهم

روى مسلم في صحيحه من حديث المستورد بن شداد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «تقوم الساعة والروم أكثر الناس» ، وهذا يدل على أن القنابل الذرية التي عند عدوتهم روسيا سوف لا يتهيأ لها ضربهم بها وإفناؤهم أو أكثرهم والقضاء عليهم ، بل هذا يؤيد الحديث السابق في أن الغربيين سينتصرون على روسيا لإلحادها وعظم شرها على الأديان كلها وعلى الإنسانية ، وإنكارها وجود الباري سبحانه وتعالى .

إخباره ﷺ بتأليب الروم على المسلمين

(فصل) وأخبر ﷺ بشدة الروم على المسلمين وتألبهم عليهم واجتماعهم على عداوتهم واتفاقهم على أخذ بلادهم ومحاربة دينهم والسعي في القضاء عليه وعليهم كما هو الواقع منهم لعنهم الله أجمعين .

روى أحمد وأبو داود وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في دلائل النبوة وغيرهم من حديث ثوبان قال: رسول الله ﷺ «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل

أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال قلنا يارسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل تنتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن»، قال قلنا وما الوهن؟ قال «حب الحياة وكراهية الموت».

رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان: «كيف بك ياثوبان إذ تداعت عليكم الأمم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منه»، قال ثوبان بأبى أنت وأمى يارسول الله أمن قلة بنا؟ قال: «لا أنتم يومئذ كثير ولكن يلقى فى قلوبكم الوهن»، قال وما الوهن يارسول الله؟ قال: «حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال».

وروى البزار من حديث أنس أن النبى ﷺ قال (يوشك أن يملأ الله أيديكم من العجم ثم يجعلهم أسداً لايفرون فيقاتلون مقاتلتكم ويأكلون فيئكم).

وروى البزار أيضاً والطبرانى فى الأوسط والكبير من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص مثله، ورواه الطبرانى وحده من حديث أبى هريرة، والبزار وحده من حديث حذيفة.

إخباره ﷺ باختصاص أوربا بشدة العداوة للمسلمين دون غيرها كروسيا مما هو واقع الآن

(فصل) ومما ظهر الآن فى السنين الأخيرة إظهار روسيا والدول الشرقية ولو أنها كافرة أيضاً العطف على المسلمين وإعانتهم وحمايتهم من إذابة أوربا والوقوف حجر عثرة فى سبيل مد اليد من الروم الأوربيين إلى المسلمين مما بين اختصاص الروم بشدة العداوة للمسلمين دون غيرهم وقد أخبر ﷺ بذلك.

قال أحمد فى مسنده حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا الحارث بن يزيد عن عبد الرحمن بن جبير أن المستورد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «أشد الناس عليكم الروم وإنما هلكتهم مع الساعة»، فخصص ﷺ الروم بشدة العداوة مع أن الكفار كلهم أعداء للمسلمين إشارة إلى الحالة الحاضرة الآن.

إخباره ﷺ بكفر دولة تركيا

(فصل) ومما ظهر كفر دولة تركيا التي كانت حامية الإسلام ومالكة أكثر بقاع الأرض الإسلامية وكثيراً من البلاد الأوربية من حدود المغرب الأقصى إلى آخر حدود العراق بما في ذلك الحرمان الشريفان ، وإليها آلت الخلافة الإسلامية واستمرت بها أزيد من ثلاثمائة سنة بل قريباً من الأربعمائة إلى أن جاء الملحد الكافر أتاتورك وحزبه المتولي للحكم فأعلنوا كفر الدولة وحاربوا الإسلام وقضوا على معالمه وعاقبوا من تظاهر به ، وفعلوا من ذلك ماهو معلوم وأعلنوا رسمياً أن تركيا دولة لادينية لعنهم الله .

فقد جاء في أحاديث صحيحة متعددة أن فتح القسطنطينية سيكون من شروط الساعة وعنده يخرج الدجال وأن المهدي وجند المسلمين معه سيفتحونها بالتكبير إلى غير ذلك مما كان العلماء لايعرفون له معنى في الوقت الذي كانت فيه تركيا هي حاملة راية الإسلام، وهي الفاتحة للكثير من بلاد الكفار بأوربا وغيرها، ثم هي مع ذلك آهلة بالعلماء والصلحاء والفضلاء خادمة للإسلام بالحرمين الشريفين نافعة لأهلها النفع البين الذي كان من أعظم العوامل في عمارتها ولا سيما المدينة المنورة .

فلما أعلن أتاتورك كفر الدولة التركية وحارب الإسلام وأهله ، وصارت القسطنطينية دار كفر بعد أن كانت دار خلافة . والدولة التركية دولة إلحاد بعد أن كانت دولة إسلام. فاستحقت بذلك الحرب والقتال واستوجب ذلك فتح القسطنطينية من جديد ، فظهر بذلك مصداق الحديث ومعجزة النبي ﷺ في إخباره بفتحها ووصفها بأن جانباً منها في البر وجانباً منها في البحر .

فروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر ، قالوا نعم يارسول الله ، قال « لاتقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم . قالوا لاإله إلاالله والله أكبر فيسقط أحد

جانبيها ، قال ثور بن يزيد الراوى لا أعلمه إلا قال : الذى فى البحر ، ثم يقولون الثانية لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ، ثم يقولون الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر ، فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون فبينما هم يقسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال إن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون » .

وروى أبو داود والترمذى والحاكم من حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة أشهر » .

وفى سنن الترمذى من حديث أنس قال : فتح القسطنطينية مع قيام الساعة وفى الباب عن غير هؤلاء من الصحابة كعبد الله بن بسر وعبد الله ابن عمرو وغيرهما وهى مخرجة فى المسند والسنن .

إخباره ﷺ بالإهمال الواقع من النجديين
للمدينة المنورة الذى سيئول بها إلى الخراب

روى أحمد وأبو داود من حديث معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال » .

فعمران بيت المقدس قد ابتدأ وظهر إن لم يكن تم بإنشاء دولة اليهود فإنهم عمروه ولا زالوا جادين فى عمارته .

والمدينة المنورة فى طريق الخراب لمحاربة القرنيين لها وسعيهم فى القضاء عليها بعدم التفاتهم إليها وإلى إصلاحها مع إهمالهم لأهلها ومعاكستهم لمن يريد الإقامة بها ، وصرفهم النظر عن سكانها وعدم مساعدتهم ومد يد المعونة إليهم لتخرب ولا يبقى بها ساكن ولا مجاور لسيد الخلق ﷺ ، بغضاً منهم فى جانبه الشريف واعتقاداً منهم — قبحهم الله — أن زيارته ومجاورته وتعظيمه بدعة وضلال فهم يسعون لذلك فى خرابها حتى ينصرف الناس عن المجاورة والزيارة ، وخرابها كما ترى من أشراط الساعة .

إخباره ﷺ بملوك الوقت الخونة الذين هم منشأ الفتن

روى الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك من حديث عبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدى قال: قال رسول الله ﷺ « سيكون بعدى سلاطين الفتن، على أبوابهم كمبارك الإبل لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه مثله » .

فسلاطين الفتن هم الموجودون فى هذا العصر لا من كان قبلهم بدليل قوله ﷺ « على أبوابهم كمبارك الإبل » لأن هذا وصف السيارات ومواقفها ، ولم يوجد ذلك إلا فى عصرنا هذا على أبواب ملوك الوقت الذين هم منشأ الفتن القائمة الآن فى سائر الأقطار الإسلامية كما هو معلوم .

ويؤيد ذلك أيضاً ذكره لبعضهم ووصفه ﷺ أصحابه بالوصف الذى لم يكن موجوداً قبل وقتنا هذا .

فروى الطبرانى فى الكبير من مرسل عبد الله بن رباح قال : قال رسول ﷺ « يوشك أن يؤمر عليهم الرويجل فيجتمع إليه قوم محلقة أقفيتهم بيض قمصهم فإذا أمرهم بشىء حضروا » .

فالقوم المحلقة أقفيتهم هم العصريون المتفرنجون الذين يلبسون القمص تحت الملابس الإفرنجية أيضاً ويحلقون أقفيتهم تشبهاً بالكفار لعنهم الله وهم الملتفون حول سلاطين الوقت أهل الفتن ، أما من كان قبل هذا العصر فلم يكن فيهم قوم محلقة أقفيتهم ولا على أبوابهم كمبارك الإبل .

وروى الحاكم وصححه من حديث أبى ذر رضى الله عنه قال : « يوشك أن ترى الرجل يغبط بخفة الحال كما يغبط اليوم أبو عشرة من الرجال ، ويوشك إن عشت أن ترى الرجل الذى لا يعرفه السلطان ولا يدنيه ولا يكرمه يغبط ، كما يغبط اليوم الذى يعرفه السلطان ويدنيه ويكرمه ، الحديث .

وهذا أيضاً حال سلاطين الوقت لكثرة خياناتهم لأممهم واتصالهم بالدول الكافرة المستعمرة وخدمة مصالحهم ضد الإسلام .

إخباره ﷺ بدولة اليهود وأنها ستقوم بمساعدة إنجلترا وأمريكا

(فصل) ومن الأمور العظام التي رأيناها كما قال النبي ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تروا الأمور العظام التي لم تكونوا ترونها » دولة اليهود والخلاف القائم بينهم وبين المسلمين مقدمة لحربهم مع إمامهم الدجال الأعور الكذاب.

ومن المعلوم أن دولتهم إنما كونها لهم الإنجليز والأمريكان وبمساعدتهم هي قائمة وبحمايتهم دائمة .

وقد أخبر الله تعالى بهذا في كتابه العزيز المنزل على عبده وأشرف خلقه سيدنا محمد ﷺ فقال تعالى :(ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) فالحبل هو العهد والسبب، والناس هم الإنجليز والأمريكان.

فالله تعالى ضرب عليهم الذلة فلم يجعل لهم دولة يعتزون بها بل هم مفرقون مشردون تحت حكم غيرهم أينما وجدوا من أقطار الأرض إلا بحبل من الله تعالى وأمر منه وقضاء وقدر عند إرادته ذلك آخر الزمان قرب ظهور الدجال اليهودي الأعور ، والكذاب ، ثم بحبل وسبب من الناس ومساعدة منهم لهم في إنشاء دولتهم ورفع الذلة التي كانت مضروبة عليهم ، وقد وقع ذلك كما قال الله تعالى وبلغه رسوله ﷺ .

فقد أشار إلى ذلك في أحاديث متعددة منها حديث معاذ السابق قريباً أن رسول الله ﷺ قال « عمران بيت المقدس خراب يثرب » الحديث فإن بيت المقدس ما عمر تمام العمارة إلا بعد إنشاء دولة اليهود .

ومنها حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبيء اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يامسلم ياعبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه شجر اليهود » رواه أحمد ومسلم .

ومنها حديث سمرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى

يدل الحجر على اليهودى مختبئاً كان يطارده رجل مسلم فاطلع قدامه فاختبأ فيقول الحجر يا عبد الله هذا ما تبغى ، رواه البزار والطبرانى .

ورواه أحمد مطولا فى ذكر الدجال وفيه «ثم يهلكه الله تعالى وجنوده حتى أن جذم الحائط — وقال بعض الرواة — أصل الشجرة لينادى يا مؤمن أو قال يامسلم هذا يهودى تعال فاقتله . قال ولن يكن ذلك كذلك حتى تروا أموراً يتفاقم شأنها فى نفوسكم وتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لكم منها ذكرا» .

فمن هذه الأمور التى تفاقم شأنها فى النفوس قبل خروج الدجال دولة أتباعه اليهود فإنه فى الوقت الذى جاء فيه الخبر بأن الدول الكافرة أعلنت رسمياً الاعتراف بدولة اليهود ، صار الناس يتساءلون بينهم هل ورد ذكر ما يشير إليها ، مع إخبار الله تعالى بأن ضرب عليهم الذلة والمسكنة مما فيه نوع تعارض ، ولكن قول الله تعالى (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) دافع للتعارض رافع للإشكال ، وكذلك إخباره ﷺ بمحاربتهم للمسلمين فى الأحاديث المتعددة فإنها صريحة فى الإخبار بدولتهم ومعينة لمكانها وعاصمتها وهى بيت المقدس ، وموضع محاربتهم وهو نهر الأردن كما سأذكر الأحاديث الوارد فيها التصريح بهذه الأماكن وجه كونها صريحة فى دولة اليهود أن اليهود كانوا مفرقين فى أقطار الأرض مشتتين تحت حكم كل دولة من دول العالم مع ذلك لا يتصور منهم حرب للمسلمين ولا قتالهم لاسيما بنهر الأردن وبيت المقدس والحال أن أكثرهم فى دول الغرب وأوربا بعيد عن هذه الأمكنة ، وإنما يتصور منهم الحرب والقتال إذا كانوا مجتمعين فى مكان واحد ، ولهم دولة وسلاح وكلمة ونفوذ كما وقع ، فإنهم لعنهم الله بمجرد ما تم لهم الأمر واستقلوا بالدولة التى مكنهم منها إخوانهم الكفار شرعوا فى الاعتداء على المسلمين وظلمهم وأخذ أرضهم وأملاكهم ، ولا يزال أمرهم على ذلك إلى أن يهلكهم الله عند خروج إمامهم الدجال الذى هو على الأبواب نسأل الله السلامة من فتنته آمين .

إخباره ﷺ بقتال المصريين والسوريين لليهود مما يشير أيضاً إلى الإتحاد الذى حصل بينهم قريباً

روى الطبرانى فى الكبير من حديث مرة البهزى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لاتزال طائفة على الحق ظاهرين على من ناوأهم كالإناء بين الأكلة حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » قلنا يارسول الله وأين هم ؟ قال « بأكناف بيت المقدس » أى نواحيه .

وروى عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند والطبرانى من حديث أبى أمامة قال: قال رسول الله ﷺ « لاتزال طائفة من أمتى على الدين ظاهرين لايضرهم من جابههم إلا ماأصابهم من لأواء حتى أمر الله وهم كذلك ، قالوا يارسول الله وأين هم ؟ قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس » .

وروى البزار بسند حسن والطبرانى وابن مندة فى الصحابة من حديث نهيك بن صريم السكونى قال : قال رسول الله ﷺ « لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن أنتم شرقيه وهم غربيه ، قال ولا أدرى أين الأردن يومئذ من الأرض ؟ فهذه الأحاديث الثلاثة ظاهرة فيما قلنا ، وبيان ذلك أن النبى ﷺ خصص بهذا طائفة من أمته وقال إنهم لايزالون ظاهرين على من ناوأهم ، وهذا قد تحقق الآن فى المصريين مع الإنجليز والفرنسيين واليهود والأمريكان . ثم وصفهم النبى ﷺ بأنهم كالإناء بين الأكلة ، وهذا أيضاً هو وصفهم الآن بعد الإتحاد مع سوريا . فإنه قد ناوأهم الكفار واليهود وأذناب الإستعمار كملوك العرب الخونة وهم لايزالون ظاهرين كلما حاول من ناوأهم غدراً أو مكراً أو خيانة به أو بهم افتضحوا وحصل للمصريين الظهور والنصر المحقق ، ثم إنه ﷺ أخبر أنهم حوالى بيت المقدس والمراد فلسطين كان يطلق عليها القدس ، والذين حوالى بيت المقدس هم المصريون والسوريون المتحدون . وأخبر ﷺ بأن حربهم مع اليهود سيكون بنهر الأردن بشرقيه فوضع القتال هو شرق الأردن الذى قد ينضم إن شاء الله إلى الإتحاد العربى فيقاتل معهم . أما كونه يقاتل اليهود

وحده فغير معقول ، ولا هو منصور على من ناوأه كما قال النبي ﷺ، لأن شرق الأردن لم يناوئه الكفار كما فعلوا بمصر، ولم يجتمعوا عليه كاجتماع الأكلة على الآنية كما فعلوا بمصر، ولم ينتصر عليهم أيضاً وإنما النصر واقع لمصر وسوريا، أيضاً كما وقع لها قريباً مع تركيا وإنجلترا وأمريكا وغيرهم، فتعين أنهم المراد، وأن شرق الأردن إنما سيكون موضع قتال، وذكر ﷺ في الحديث الثاني أن هذه الطائفة بعضها موجود ببيت المقدس وبعضها حوالي بيت المقدس، والذين ببيت المقدس هم العرب الذين أجلاهم اليهود وهم أيضاً مع مصر وسوريا، وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم ستصيبهم لأواء وهي تشريد اليهود لهم عن ديارهم وأموالهم وما يقاسونه الآن بسبب ذلك من الجوع والبرد وأنواع التعب، فهم أيضاً سيقاتلون اليهود مع الجمهورية العربية ، وكل هذا آت قريب، وهو يدل على قرب خروج الدجال اليهودي الأعور الكذاب، وعلى أن الأمة المصرية هي التي ستفوز بقتاله وقتال جنده اليهود لعنهم الله، وفي هذا بشارة لهم بالإيمان والعصمة من فتنة الدجال، لأن النبي ﷺ سمى الذين يقاتلون اليهود مؤمنين في وقت ظهور الدجال، حتى إن الله تعالى سيظهر لهم كرامة كلام الشجر والحجر معهم فيقول الشجر والحجر للمؤمن يا عبد الله هذا كافر ورائي فتعال فاقتله، والمؤمن من جيش مصر والاتحاد العربي ، فدل على بقاء إيمانهم في ذلك الوقت ، وأن فتنته لعنه الله غير ضارة بهم إلا من شاء الله تعالى خذلانه نسأل الله السلامة بمنه .

إخباره ﷺ بترك الناس اليوم للعمائم الصادق بتعرية الرأس أو لبس الطربوش وحده

قال ابن لال: حدثنا محمد بن عبد الواحد ثنا إبراهيم بن الحسين ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا عمر بن نبهان ثنا حميد بن هلال عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ العمائم وقار المؤمن وعز العرب فإذا وضعت العرب عمائمها وضعت عزها .

وقال الديلمي في مسند الفردوس: أخبرنا الدوني أخبرنا الكسار أخبرنا ابن السني حدثنا أحمد بن يحيى بن زهير عن محمد بن سفيان بن أبي الزرد عن

عتاب بن حرب عن عبد الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « العمائم تيجان العرب فإذا وضعوها وضعوا عزهم ».

وهذا أيضاً من عجيب معجزاته ﷺ فإن العمائم كانت هي لباس العرب ولم يكن يتصور أنهم يتركونها إلى أن حكمت تركيا كثيراً من البلاد العربية والإسلامية فانتشر بسبب ذلك الطربوش وتركت العمائم وعند ذلك ذهب عز العرب وتسلط عليهم الاستعمار، واستولى على جميع ما كان بيد تركيا التي هي أشأم دولة على الإسلام، وهي أول من سلبت ملك الإسلام كما أخبر به النبي ﷺ، فلما تمكن الاستعمار وتخلق العرب بخلق أهله وقلدوهم في كل شيء وكشف الكفار عن رءوسهم ورموا البرانيط قلدهم العرب في ذلك أيضاً، وكشفوا رءوسهم وتركوا الطرابيش والعمائم معاً، ففارقوا بذلك الفطرة الإسلامية بسبب ذلك التقليد الأعمى الممقوت، كما وضعوا عزهم من قبل، وبهذا ورد الخبر عن رسول الله ﷺ أيضاً.

قال الديلمي: أنبأنا محمد بن طاهر بن حماد عن ابن المحتسب عن أبي جعفر محمد بن عبد الله بن بزرة عن محمد بن يونس الكديمي عن إسماعيل بن عبد الله بن زرارة عن محمد بن ربيعة عن أبي جعفر العسقلاني عن طلحة بن زيد ابن ركانة عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ « لا تزال أمتي على الفطرة ما لبسوا العمائم على القلانس ».

فهذا الحديث مع تضمنه الإخبار بأن الأمة ستترك لبس العمائم على القلانس فيه أيضاً الإخبار بما صار إليه الناس بعد نزع العمائم وتعرية الرأس وتقليد الإفرنج من مفارقة فطرة الإسلام وأخلاق الدين والتشبث بأهدابه.

(فصل) وأعجب من هذا أن جماعة من شباب المغرب وفي جهة خاصة منه كانوا ابتدعوا طرابيش ملونة مخططة بالأبيض والأسود كالبرد زعموا أنها من الوطنية، لأنهم حزب من أحزابها في زعمهم، وهؤلاء أخبر بهم النبي ﷺ وبطرابيشهم وبوقت ظهورها.

قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: حدثنا أبي رحمه الله حدثنا

حوشب بن عبد الكريم حدثنا حماد بن أبي زيد عن أبان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « يكون في آخر الزمان ديدان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهم الأنتنون، ثم تظهر قلانس البرد فلا يستحي يومئذ من الزنا . والمتمسك يومئذ بدينه كالقابض على جمرة ، والمتمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين ، قالوا منا أو منهم ؟ قال « بل منكم » .

فقلانس البرد هي الطرابيش المخططة بالأسود والأبيض كالبرد، ولم تكن معروفة من قبل، وأيد كونها المراد في هذا الحديث ظهور الزنا الذي لا يستحي منه عند ظهورها، فقد اتفق أنه بعد ظهور هذه الطرابيش بأعوام قليلة لا تتجاوز الخمس أو لا تبلغها قامت الحرب العالمية الأخيرة فدخلت أسبانيا إلى مدينة طنجة بجيشها المؤلف من الأسبان والمغاربة الخونة الكفرة . فانتشر بهم الزنا انتشاراً لم يعهد من قبل في بلد من بلاد الإسلام فكانت العساكر الأسبان والمغاربة يوجدون مع النساء يزنون بهن في أطراف المدينة تحت الأشجار وعند جدران البساتين نهاراً والناس يشاهدون ذلك، وأنا أحد من شاهده أمام منزلي، ودام ذلك بطنجة نحو ثلاث سنين . ثم خرج الأسبان لعنهم الله فخف الحال نوعاً وإن كان لا يزال موجوداً أكثره.

فصل

على أن قوله ﷺ « فلا يستحي يومئذ من الزنا » صادق بما هو أعم من الذي حدث بطنجة وهو البرديل ومحلات الزنا الرسمية في سائر أنحاء العالم فإن داخله لا يستحي من الزنا ، وإيجاده إعلان الزنا رسمياً بأمر من الدولة والحكام بل ومساعدتها على ذلك ومراعاتها الأمر الصحة فيه وتعاهدها للبغايا بعرضهن على الطبيب كل أسبوع . منعاً لانتشار الأمراض في زعمهم لعنهم الله، فالحديث يشير أيضاً إلى ظهور البرديل الذي أحدثه الاستعمار بفلاد الإسلام . ويؤيد هذا قوله ﷺ « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر » الحديث رواه البخاري ومسلم . فالزنا الذي كثر اليوم عند ظهور أشراط الساعة وهو الزنا الذي لا يستحي منه أيضاً ، لأنه رسمي بأمر الدولة والحكومة ، هو ما يقع في البرديل .

فصل

وأما انتشار اللواط والتغاير على الغلام كتغايرهم على المرأة وانتشار السحاق بين النساء واتخاذهن الخليلات لذلك كما هو الموجود الآن ، فالأحاديث فى الأخبار به كثيرة .

منها حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « من أعلام الساعة وأشراطها أن يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء » رواه الطبرانى وأبو نعيم .

وحديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « والذى بعثنى بالحق لا تنقضى هذه الدنيا حتى يقع بهم الخسف والمسخ والقذف ، قالوا : ومتى ذلك يارسول الله ؟ قال « إذا رأيت النساء قد ركبن السروج واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء » الحديث رواه الحاكم .

وفى مسند الفردوس للديلمى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى يتغايروا على الغلام كما يتغايرون على المرأة » وكل هذا مشاهد وقديم نوعا .

إخباره ﷺ بظهور الكشافة

ولكن المستغرب أن بعض لوطية الإنجليز ابتدع ذلك الجيش من الغلمان المعروف بالكشافة واخترع لهم تلك السراويل القصيرة البادية معها أفخاذهم فانتشروا فى سائر الأقطار وقلدهم المسلمون فى ذلك . وتولى أمرهم اللوطية فى كل بلد شاهدناه ، وقد أخبر النبى ﷺ بأن هذا من أخلاق قوم لوط وأن أمته ستفعل ذلك ، فظهر مصداق ما قال ﷺ بعد أكثر من ألف وثلاثمائة سنة .

روى الديلمى فى مسند الفردوس وابن عساكر فى التاريخ من مرسل الحسن عن النبى ﷺ قال « خصال عملها قوم لوط بها أهلكوا وتزيدها أمتى بخصلة » فذكر الخصال وذكر منها « والمشى بالأسواق والأفخاذ بادية » وهذه اللفظة إنما وقعت فى رواية الديلمى ، وقد رواه أبو بشر الدولابى فى الكنى والأسماء من حديث أنس بن مالك موقوفا عليه وذكر فيه خصالا أخرى ، فالمشى بالأسواق والأفخاذ بادية ما ظهر إلا بظهور هذه الكشافة التى أسسها اللوطية ، ثم بعدها صرنا نرى الأفخاذ بادية

حتى من النساء الأوربيات الكافرات فى الأسواق تحقيقاً لما أخبر به النبى ﷺ.

إخباره ﷺ بأن أمته سيحلقون لحاهم

(فصل) وكذلك حلق اللحية وتوفير الشارب الذى عم البلاد بعد الاستعمار التركى ثم الأوربى ، وصار كأنه من الواجبات لا من المحرمات ، ومن المعروف لا من المنكر ، ومن السنة لا من أخلاق المجوس والكفار ، وقد أخبر النبى ﷺ بأن أمته ستتبع الأمم السابقة فى ذلك كما سأذكره ، وأخبر أيضاً بأنه من أخلاق قوم لوط وأن أمته ستفعل ذلك مثلهم ، ففى تاريخ ابن عساكر من مرسل الحسن البصرى عن النبى ﷺ قال « عشر خصال عملها قوم لوط بها أهلكوا وتزيدها أمتى بخصلة ، فذكرها وذكر منها « قص اللحية » وسمى الذى زادته أمته « سحاق النساء » .

إخباره ﷺ بأن أمته سيقلدون الإفرنج فى كل شىء كما هو الواقع اليوم

(فصل) ومن ذلك التشبه بالكفار وتقليدهم واتباعهم فى كل رذيلة وفى كل جنون ومنقصة ، بحيث لا يبتدع الكفار شيئاً ولو كان فى منتهى السخافة والفظاعة ، وفى منتهى القبح والشناعة ، إلا تهافتوا على السرعة فى تقليدهم فيه والمسابقة إلى من يكون الفائز فى إتقانه والإتيان به طبق ما ابتدعوه ، حتى مرقوا من الدين الإسلامى ، ثم خرجوا عن نهج سائر الشرائع السماوية والأديان السابقة ، ثم نبذوا المروءة والإنسانية ، ثم فارقوا العقل بالكلية وصاروا كالوحوش والأنعام والمجانين ، والله بل ما يأتيه مقلدة الكفار ويصنعونه بأنفسهم لا يأتيه مجنون على وجه الأرض ، منذ خلق الله الجنون وإلى أن يحشر الله مقلدة الكفار معهم فى النار ، هذا ما لا أحتاج أن أقيم الدليل عليه فهو كالشمس فى رابعة النهار ، وإن كان لا يدركه إلا من حفظه الله من حب تقليدهم ونور الله مع ذلك قلبه بنور الإيمان ، وإنما أذكر إخبار النبى ﷺ بذلك وأن أمته ستبالغ فى تقليدهم الأعمى إلى أن تصل إلى هذه الدرجة التى يتنزه عنها الجنون ويجل عنها المجانين كما هو الواقع المشاهد فاستمع إلى ذلك وتعجب .

روى البخارى ومسلم من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم » قيل يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال (فمن) .

وروى الطبرانى من حديث عوف بن مالك أن جبريل نزل على النبى ﷺ وهو حاضر ، فلما سرى عنه قال : « جاء جبريل يتعاهد دينكم لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل ولتأخذن بمثل أخذهم إن شبراً فشبر وإن ذراعاً فذراع وإن باعاً فباع حتى لو دخلوا جحر ضب دخلتم فيه » الحديث .

وروى أحمد من حديث سهل بن سعد الأنصارى عن النبى ﷺ قال « والذى نفسى بيده لتركبن سنن من قبلكم مثلا بمثل » .

وروى البزار والحاكم من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم » .

وروى الطبرانى من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « أنتم أشبه الأمم ببنى إسرائيل لتركبن طريقهم حذو القذة بالقذة حتى لا يكون فيهم شىء إلا كان فيكم مثله حتى إن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجامعها ثم يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ويضحكون إليه » .

وروى الحاكم فى صحيحه وابن وضاح فى البدع من حديث حذيفة بن اليمان قال: « لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ولتركبن سنن الأمم قبلكم حذو النعل بالنعل لاتخطئون طريقهم ولا يخطئنكم ، حتى لو أنه كان فيهم من يأكل العذرة رطبة أو يابسة لأكلتموها . والله ماهو بالرأى ولكنه الحق اليقين » ، لفظ ابن وضاح.

فمن شاهد حال الناس اليوم وتفانيهم فى اتباع الإفرنج علم مطابقتها لهذه الأحاديث بالحرف وأنها لم تخط من وصفهم شيئاً ، وأقسم بالله الذى لا إله إلا هو أنه لو وجد فى الكفار اليوم من يأكل العذرة رطبة أو يابسة كما فى هذا الحديث لبادروا إلى أكلها مع إعجابهم وسرورهم بذلك ، فليس أكل العذرة

بأصبع من قلع العين . وقد عرض قريباً بعضهم قلع عينه وإلصاقها ببعض الملاحدة إن كان يرى بها ، لاحباً فى هذا الملحد فقط . بل لأن بعض الأوربيين فعل ذلك مع بعض مشاهيرهم ، ولو أردنا أن نذكر ماعلمناه أو شاهدناه من هذا لذكرنا مايتعجب منه العقلاء .

إخباره ﷺ بترك أمته الأحذية العربية ولبسهم الجزم الإفرنجية ذكوراً وإناثاً

(فصل) ومن العجب أن الناس قلدوا الإفرنج فى كل شىء ، وأول ذلك الملابس ، وخلعوا ملابسهم العربية الشرقية رجالا ونساء كما قال ﷺ ، إلا أنه بقيت بقية متمسكة بملابسها العربية أو الشرقية الإسلامية ماعدا الأحذية الإفرنجية ، فإنه استوى الجميع فى لباسها سواء المتعمم والمتفرنج والمتعربة والمتفرنجة ، وقد أخبر النبى ﷺ بهذا بخصوصه زيادة على الأخبار السابقة بأن أمته ستتبع الإفرنج فى كل شىء .

روى الطبرانى من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ «إذا تخففت أمتى بالخفاف ذات المناقب الرجال والنساء وخصفوا نعالهم تخلى الله عنهم» .

فالخفاف ذات المناقب أى الرقاع ، والقطع المتعددة أو الألوان المختلفة كما فى كتب اللغة هى : الأحذية الإفرنجية ، والخصف التلميع الذى تلمع به بالدهن المخصوص لذلك . لأن معناه البرق واللمعان ، كما قال الراغب ، أو الألوان المتعددة أى جعلوها مختلفة ، كما هو الواقع فيها أو فى بعض أصنافها .

إخباره ﷺ بانتشار الروايات التى كلها كذب وخيالات

(فصل) ومن ذلك ظهور الروايات بكثرة ، وامتلاء الدنيا بها حتى لاتجد شاباً من هذا الشباب الفاسد إلا وفى يده رواية منها يقرؤها ، وفى بيته عشرات أو مئات المجلدات منها ، وأوقاتهم عامرة بقراءتها ، وكلها كذب محض وتخيل لاحقيقة له ، وقد أخبر النبى ﷺ بذلك .

فروى أحمد فى مسنده بسند صحيح من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لاتقوم الساعة حتى تظهر الفتن ، ويكثر الكذب وتتقارب الأسواق ويتقارب الزمان ويكثر الهرج ، قلت وما الهرج قال : القتل » فالكذب كان موجوداً وكثيراً فى كل زمان ، ولكن الكذب الذى فشا فى هذا الوقت مع ظهور الطائرات والسيارات التى بها تقارب الزمان وتقاربت الأسواق وكثر القتل ، هو كذب الروايات .

يزيد هذا وضوحاً ما رواه نعيم بن حماد فى كتاب الفتن من حديث معاذ ابن جبل رضى الله عنه فى أشراط الساعة « إن الدم يسفك بغير حقه والمال يعطى على الكذب » .

فإعطاء المال على الكذب صريح فى أن المراد من قوله ﷺ « ويكثر الكذب » هو الروايات ، فإنه يدفع فيها الأموال الكثيرة أولا لمؤلفها الكذاب فإن صاحب المكتبة يدفع له أموالا كثيرة ليأذن له فى طبع ذلك الكذب الذى سيتجر فيه ويربح فيه الأموال الطائلة من المشترين القارئين لذلك الكذب بفرح وسرور وتلهف وإقبال .

ثم فى وقت ظهورها وانتشارها ظهر سفك الدم بغير حق من الكفار المستعمرين للبلاد ومن الشباب الفاسد الملحد فى اغتيال الناس بالباطل كما هو الواقع بالمغرب من زنادقة حزب الاستقلال الذين فاق جورهم وسفكهم للدماء جور الدول المستعمرة لعنهم الله أجمعين .

ويؤيده أيضاً مارواه الحاكم فى المستدرك من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « إذا كثر الكذب كثر الهرج » .

وقال نعيم بن حماد فى كتاب الفتن : ثنا بقية بن الوليد ثنا أبو محمد بن حاجب عن زياد أو ابن زياد قال سمعت كعب الأحبار يقول قال رسول الله ﷺ « يأتى فى آخر الزمان أصحاب الألواح يزينون الحديث بالكذب تزيين الذهب بالجوهر » .

إخباره ﷺ بظهور التمثيل

(فصل) ومن ذلك التمثيل فإنه من الكذب الذى انتشر فى الأرض ويعطى عليه المال ، بل تنفق فيه الأموال الكثيرة وهو ما اتبع الناس فيه الإفرنج وجنوا بجنونهم ومرقوا من الدين والعقل والمروءة والإنسانية وأصبحوا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلا كما وصفهم الله تعالى به ، وهو من أعظم المصائب والرذائل التى ابتلى بها أهل الوقت المتفرنجون لاشتماله على فساد الدين والدنيا والقضاء على الأخلاق والأعراض . وقد ألفت جزءاً فى بيان مفاسده ودلائل حرمته سميته « إقامة الدليل على حرمة التمثيل » وهو مطبوع فعليك به ، وقد روى الحاكم فى المستدرك عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت عن الزلزلة فقالت : « إن المرأة إذا خلعت ثيابها فى غير بيت زوجها هتكت ما بينها وبين الله عز وجل من حجاب ، وإن تطيبت لغير زوجها كان عليها ناراً وشناراً ، فإذا استحلوا الزنا وشرب الخمور بعد هذا وضربوا المعازف غار الله فى سمائه . فقال للأرض : تزلزلى بهم فإن تابوا ونزعوا وإلا هدمها عليهم » الحديث قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبى فأخطأ ، بل رجاله رجال الصحيح كما قال الحاكم ، فما ذكر فى هذا الحديث هو وصف الممثلات والممثلين مع نشرهم للفسوق والفجور والكذب .

إخباره ﷺ بتعلم اللغات الإفرنجية واختلاف ألسن العرب

(فصل) ومن ذلك تعلم اللغات الإفرنجية واختلاف ألسن العرب بحسب الدول المستعمرة لبلادهم ، فطائفة تتكلم بالفرنسية وأخرى بالأسبانية وأخرى بالإنجليزية وأخرى بالروسية ، وغيرها من ألسن الدول المستعمرة . روى الطبرانى فى الأوسط الكبير من حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا ظهر القول وخزن العدل واختلفت الألسن وتباغضت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه ، فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » .

وسبق حديث عمرو بن تغلب عن النبي ﷺ أنه قال : « إن من أشراط الساعة أن يفشو المال وتفشو التجارة ويظهر القلم ويبيع الرجل البيع فيقول لا حتى أستأمر تاجر بنى فلان ويلتمس فى الحى العظيم الكاتب فلا يوجد » رواه النسائى فى البيوع من سننه .

فاختلاف الألسن المذكور فى الحديث الأول إنما المراد به اختلاف ألسن العرب باللغات الإفرنجية وإلا فاختلاف ألسن الخلق موجود من يوم نشر الله نسل آدم عليه السلام فى الأرض . ويؤيد ذلك أن الأشياء المذكورة معه لم توجد إلا فى الوقت الذى نشأ فيه الاستعمار وفسد معه أخلاق العرب والمسلمين ، فبسبب اختلاط العرب بالإفرنج وتعلم لغاتهم وأخلاقهم فشا فيهم تباغض القلوب وقطيعة الرحم وظهر القول وخزن العمل .

وعدم وجود الكاتب فى الحى العظيم كاد يتحقق اليوم فى المغرب وبعض الأقطار التى كانت تحت سيطرة الاستعمار كالجزائر فإنه يوجد فى كثير من الأحياء الكتاب باللغة الأجنبية ولا يوجد فيها الكاتب بالعربية ، لأن تعليمهم إنما كان فى المدارس الإفرنجية التى لا تعلم إلا بلغتها وكتابتها بقصد القضاء على اللغة العربية التى هى أساس الإسلام .

إخباره ﷺ بكثرة المدارس العصرية

(فصل) وقد أشار ﷺ إلى هذه المدارس وانتشارها وكثرة المتعلمين فيها مع جهلهم بالدين .

فروى أبو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير ويتخذها الناس سنة فإذا غيرت قالوا غيرت السنة أو تركت السنة ، قالوا : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : « إذا كثر قراؤكم وقلت علماؤكم وفى رواية فقهاؤكم » الحديث .

وروى الطبرانى من حديث عبد الرحمن الأنصارى قال : قال رسول

الله ﷺ «من اقتراب الساعة كثرة القراء وقلة الفقهاء وكثرة الأمراء وقلة الأمناء».

فما كثرت القراء إلا بسبب هذه المدارس التى انتشرت بسبب الاستعمار ثم المتخرجون منها قراء جهلة عالمون بالدنيا جاهلون بالآخره ، عارفون مايلزم لإصلاح دنياهم ، جاهلون بما يجب عليهم معرفته فى إصلاح دينهم وبهم صارت الدنيا كثيرة القراء قليلة الفقهاء كما قال ﷺ .

فصـــل

وهذه المدارس هى أخطر خطر على الإسلام وأعظم ضرر على أهله فإنها السبب الوحيد فى القضاء على الدين وانتزاعه من الشباب المتعلم فيها والمتخرج منها، وفساد أخلاقهم وكفرهم وإلحادهم فإن الكفار لعنهم الله بعد تفكير طويل فى أسباب القضاء على الإسلام وتجارب دامت أكثر من خمسمائة سنة لم يجدوا لذلك وسيلة أنجح ولا طريقاً أقرب من المدارس ولذلك وجهوا عنايتهم إليها وإلى الإكثار منها فى كل قطر استعمروه لأجل القضاء على الإسلام بعد أن عقدوا عدة مؤتمرات كما هو مفصل فى كتاب «الغارة على العالم الإسلامى» وكتاب «المستشرقون» وهما كتابان ينبغى لكل مسلم مغرور بالاستعمار مفتون بحضارة الإفرنج أن يقرأهما حتى يكون على بصيرة من مقاصد المستعمرين ويتحقق من الغاية المقصودة لهم من حرصهم على تعليم أولاد المسلمين ولاسيما البنات، فقد صرحوا لعنهم الله بأن البنت المسلمة إذا تعلمت اللغة الإفرنجية فإنها ستتخلق بأخلاق الإفرنج وتتشبع بروح التفرنج بسبب التعليم أولا، ثم بما تقرؤه من المجلات والجرائد والكتب الإفرنجية وبذلك تضعف فيها الروح الإسلامية والتعاليم الدينية، ثم تكون هى وحدها «مدرسة» إذا صارت أما تربى أولادها على الروح الإفرنجية فينشئون بعيدين عن الدين جاهلين به، وبذلك يقع انسلاخهم من الدين ومروقهم من الإسلام، وقد جاءتهم المدارس بالنتيجة المرغوب بها لهم، وهى إنسلاخ الشباب المتعلم فى مدارسهم من الدين وإن لم يعتنق الديانة المسيحية إلا أنه أعدى للاسلام

والمسلمين من المسيحية بألف درجة ، فقد أصبحوا يحاربون الإسلام علانية في الوقت الذي تحارب فيه المسيحية الإسلام خفية .

وأصبحوا يحاربون الإسلام بعنف وقوة وصلابة في الوقت الذي تحاربه المسيحية بلين وتدرج وسياسة ، فكل شيطان منهم أضر على الإسلام من ألف كافر .

وقد اعتنى ﷺ بالإخبار عنهم جملة وتفصيلا فما ترك من أحوالهم ولا أقوالهم شيئاً إلا وقد ذكره وحذر منه أمته ، فاسمع ما سألقيه عليك من ذلك لتزداد إيماناً ويقيناً بعظمة هذا النبي الكريم ومحبة في جنابه العظيم ﷺ وشرف وكرم .

إخباره ﷺ بالعصريين الملاحدة الزنادقة ، وذكره أوصافهم التي هم عليها الآن

(فصل) روى البخاري ومسلم من حديث علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ « سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم » .

وروى أحمد والترمذي وابن ماجة من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول الناس يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية فمن لقيهم فليقتلهم فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم » .

فهؤلاء الأحداث المذكورون هم هذا الشباب الفاسد الكافر الملحد المارق من الدين الذين يتشدقون بالوطنية والجهاد ومحاربة الاستعمار الذي هو من خير قول البرية ، وهم أول من يثبت قدم الاستعمار وينصر الكفر بنشر مبادئه وعوائده وأخلاقه وملابسه وعقائده ومحاربته للاسلام والقضاء على محاسنه وآثاره والسعي في قلعه من النفوس ، والدعوة إلى ذلك بالقول

والعمل والقوة بقدر مافى الوسع والإمكان ، بل لو وجدوا السبيل لكفروا الناس بالقوة كما فعل أتاتورك لعنه الله .

وقد ذكرهم الله تعالى فى كتابه العزيز وأخبر بأنهم كافرون غير مؤمنين كما أخبر بذلك النبى ﷺ .

فقال تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لاتفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لايشعرون . وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمى فهم لايرجعون . أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شىء قدير) .

فهذه الآيات يزعم كثير من المفسرين أنها نازلة فى المنافقين وليس كما زعموا بل هى نازلة فى هؤلاء الملاحدة المفسدين كما بينته فى كتابى « بيان غربة الدين بواسطة العصريين المفسدين » من وجوه تزيد على العشرين كلها قاطعة فى تحقيق نزولها فيهم وأن المنافقين إنما أدخلهم المتقدمون فيها لأنه لم يكن أمامهم غيرهم فكانت الضرورة داعية لهم إلى تنزيلها عليهم كما فى آيات أخرى واردة فى هذا الزمان فحملوها على ما كان موجوداً فى زمانهم كما قدمناه فى قوله

تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وكما فعلوا فى قوله تعالى : (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت) الآية وغيرها . وكذلك فى أحاديث كثيرة كأحاديث تقارب الزمان وتقارب الأسواق وغيرها، والمقصود أن هذه الآية لم تنزل فى المنافقين المارقين الملاحدة المتفرنجين الذين ولدهم الاستعمار الكافر وأنتجتهم مدارسه الإفرنجية للقضاء على الإسلام ، والدليل على ذلك أمور :

الأول : ورد النص بذلك فقد روى جماعة عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن ابن عبد الله الأسدى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه فى قوله تعالى : (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) قال سلمان : لم يجىء أهل هذه الآية بعد ، ورواه ابن جرير عنه أيضا قال « ماجاء هؤلاء » ، وهذا الحديث له حكم الرفع حتى إنه يجوز عند بعضهم أن ينسب إلى النبي ﷺ لأنه لا يقال من قبل الرأى ولا مدخل للاجتهاد فيه بل هو توقيف محض مما تلقاه عن النبي ﷺ .

وقد قال ابن جرير : يحتمل أن سلمان رضى الله عنه أراد بهذا أن الذين يأتون بهذه الصفة أعظم فساداً من الذين كانوا فى زمن النبي ﷺ لا أنه عنى أنه لم يمض ممن تلك صفته أحد .

قلت : وليس كذلك ، بل مراد سلمان رضى الله عنه أو مراد الله تعالى على لسان رسوله ﷺ الذى منه تلقى سلمان رضى الله عنه ذلك أن أهل هذه الآية النازلة فيهم والمخبرة عنهم سيكونون آخر الزمان ، وليس المراد بها أحــداً ممن كان فى عصر النبي ﷺ لأنها لا يمكن أن تنطبق عليهم إلا بتأويل وتكلف بخلاف أهلها النازلة فيهم من ملاحدة هذا العصر وشبابه الفاسد ، فإنها منطبقة عليهم حرفاً حرفاً كما ستعرفه . وإذاً قد صح الخبر والتوقيف بأن أهلها لم يكونوا فى الصدر الأول وأنهم آتون فى آخر الزمان وقد ظهروا بالأوصاف التى ذكرها الله تعالى لم يبق أدنى شك فى أنهم المراد من الآيات المذكورة .

الثانى: وهو من الأدلة القاطعة أن كلمة مصلح لم تتداول ولم يعرف الإكثار من ذكرها بل ولا ذكرها مطلقاً إلا عند ظهور هذا النشء الفاسد المارق، فلا تسمع كلمة مصلح من مؤمن بالله ورسوله، وإنما تسمعها منهم حتى صارت شعارا لهم لكثرة ما يتمشدقون بها وبكلمة خائن أيضا، فهاتان الكلمتان هما الشعار الوحيد لهؤلاء المارقين لعنهم الله، وقد ورد فى السنة المتواترة الإخبار بها عنهم كما سأذكره، فتعين أن الآية نازلة فيهم لا فى منافقى عصر النبى ﷺ فإنه لم ينقل عنهم أنهم كانوا يقولون إنهم مصلحون ولا نقل عن واحد منهم كلمة مصلح، مع كثرة ما نقل من الأخبار والحوادث التى جرت لهم أو لبعضهم مع الصحابة رضى الله عنهم فى حياة النبى ﷺ وبعده كما يعلم ذلك من مارس كتب السيرة والسنة النبوية.

الثالث: أنه لم ينقل عن المنافقين أنهم كانوا يفسدون فى الأرض، ولا كان لهم كثرة وانتشار حتى يقال إنهم أفسدوا فى الأرض، بل كانوا شرذمة قليلة قاصراً وجودها على المدينة الشريفة المنورة وما حولها. وأيضاً لم تكن لهم قوة ولا سلطة وسيطرة حتى يظهروا الفساد فى الأرض بل كان سيف الشريعة قاهراً لهم وهم أذل وأقل وأضعف من أن يظهروا الفساد فى الأرض، وإنما الذين ملئوا الأرض فساداً يؤيدهم فى ذلك الإستعمار وتحميهم قوانين إخوانهم بل أسيادهم الكفار، باسم الرقى والحضارة والتمدن والحرية فى القول والعمل والآراء والأفكار، هم هؤلاء المارقون الملاحدة جند الشيطان وعسكر الدجال ومقدمته الذين يمهدون له السبيل ويفسحون أمامه المجال ويسهلون الطريق لاتباعه، والإيمان به، والمبادرة إلى تصديقه عند خروجه، فما بقى فى الدنيا قطر إلا وهم موجودون به، إلا أن البلاد المنكوبة بكثرتهم الآن هى المغرب والشام والعراق، وإن كان لهم وجود بسائر الأقطار الإسلامية فهم بجرأتهم على الله تعالى وعلى مخالفة أوامره ومحاربة دينه بإظهار المعاصى والإلحاد والطعن فى القرآن تارة، والأحاديث النبوية أخرى، وعقائد السلف الصالح وأهل السنة وإظهار العلوم الإفرنجية والدعوة إليها وإلى التخلق بأخلاق الإفرنج واتباعهم فى كل شىء وإلزام الناس بذلك وإجبارهم عليه بدعوى أنه السبب الوحيد الموصل إلى الإستقلال والحرية وأمثال ذلك

هم الذين يصح أن يقال عنهم إنهم أفسدوا فى الأرض ، فإن الأرض امتلأت فساداً وكفراً وتفرنجا وإلحادا ومروقا من الدين بل من سائر الأديان ، بهم وبدعايتهم فى مؤلفاتهم ومجلاتهم وجرائدهم ومدارسهم وأحزابهم وأنديتهم وسائر حركاتهم أما منافقو زمانه ﷺ فلم يحصل منهم فساد فى البقعة الصغيرة التى كانوا بها مطلقا ، فضلا عن أن يحصل منهم فى الأرض بل ماصدر منهم مما يسمى فسادا فى الأرض ، مقدار شعرة بالنسبة اثور مما صدر من هؤلاء ، بل لم يصدر من أولئك فساد أصلا إلا ما كان فى نفوسهم من الكفر القاصر عليهم وهو النفاق ، فكيف يمكن حمل الآية عليهم وهم أبرياء منها ؟ فأقسم بالله أن الله تعالى ما أراد بالآيات الكريمات إلا هؤلاء المارقين وأنه لو رآهم المفسرون من السلف لقطعوا بذلك ورجعوا عن تنزيلهم الآيات على منافقى عصر النبى ﷺ .

الرابع : أنه لم ينقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يقولون للمنافقين لا تفسدوا فى الأرض ولا كان ظاهرا منهم فساد فى الأرض حتى يقولون لهم ذلك ، إنما كان منهم النفاق والكفر فى أنفسهم وذلك وإن كان يسمى فى الشرع فسادا باعتبار مايئول أمره إليه ، إلا أنه لم يكن معروفا فى اللغة أنه فساد حتى يقال لهم لا تفسدوا ، وإنما يقال لهم لا تكفروا بالله ولا تنافقوا ونحو ذلك ، وكيفما كان الحال فلم ينقل إلينا أنهم قالوا لهم ذلك لاسيما مع تسترهم غاية التستر بكفرهم وظهورهم بالإيمان خوفا على دمائهم وإنما كانت تظهر من بعضهم بوادر تدل على نفاقهم ، والله تعالى يخبر أنه قيل لهم ذلك وأنهم أبوا بأنهم مصلحون الذين قيل لهم ذلك وأجابوا بهذا الجواب وأنهم مصلحون هم هؤلاء المارقون ، فلا تحصى مناظرات المؤمنين معهم وردودهم عليهم بالمؤلفات الخاصة والمقالات والنشرات فى الجرائد والمجلات وطلب منهم الرجوع إلى الإيمان بالله وموافقة أهل السنة والجماعة والتزام عقائد الإيمان والخضوع لأوامر القرآن ، وهم يجيبون بأن الحق هو ماهم عليه وأن مايدعون إليه من الإيمان بما قال الله والتصديق بما جاء عن رسوله ﷺ والعمل بما يعمل به المسلمون تأخر ورجعية وأنهم

قاموا بدعوة إصلاحية وأنهم المصلحون كما هو معروف عنهم مشهور من حالهم.

الخامس: أن المنافقين ما كانوا يخدعون المؤمنين إلا خداعا خفيفا بالتظاهر لهم بالإيمان. ومعلوم أن ذلك ليس فيه كبير خداع وإنما الخداع الحيقق هو خداع هؤلاء الملاحدة الذين أفسدوا على الملايين من المسلمين دينهم وعقائدهم وأخلاقهم حتى سلخوهم من كل فضيلة باسم الرقى والحضارة والتقدم وخدمة الوطن والسعى فى الحرية والإستقلال والإنصاف بالإيمان الصحيح المجرد عن الخرافات والرجعية وأنهم إذا لم يتفرنجوا فى أنفسهم ويبتعدوا من الدين ومظاهره وآدابه فإن الدول المستعمرة تعتقد فيهم أنهم متعصبون للإسلام فلا يعطونهم الإستقلال حتى أصبح عوام النساء والشباب بسبب دعاياتهم الملعونة يرون أن الخروج عن المظاهر الدينية هو الإيمان الصحيح، وأن العمل بالدين واتباع سبيل المؤمنين وما كان عليه آباؤهم وأسلافهم هو الخيانة الكبرى للدين والوطن كما سمعناه من عشرات منهم وبلغنا عن آلاف منهم حتى مرق من الدين أكثر أهل الأرض، ولا يزال الأمر فى إزدياد حتى تقوم الساعة ولا يوجد على الأرض من يقول لا إله إلا الله، فهذا هو الخداع لله والذين آمنوا كما قال الله تعالى لأنه خداع أثر على عقول البسطاء والجهلة من الناس فضرهم فى دينهم وكفروا بالله من حيث لا يشعرون، أما منافقو زمن النبي ﷺ فلم يحصل منهم خداع لمؤمن واحد ولم يمكنهم أن يضروا واحداً فى دينه فضلا عن الملايين بمشارق الأرض ومغاربها، فوجب أن الآية نازلة فى هؤلاء المارقين المخادعين.

السادس: أن هؤلاء هم الذين إذا اجتمعوا بالمؤمنين من العوام الذين يطمعون فى خدمتهم وجلبهم إليهم وإدخالهم فى أحزابهم السياسية وتدريجهم إلى الضلال والإلحاد قالوا لهم نحن مؤمنون خادمون للدين مصلحون المجتمع، وإذا خلوا إلى شياطينهم ورؤسائهم وإخوانهم الملاحدة أمثالهم والكفار أصحاب الجامعات المؤسسة للتبشير بالدين المسيحى وإعطاء الأجر على إفساد عقائد المسلمين قالوا لهم إنا معكم إنما نحن مستهزئون بهم وسالكون طريق السياسة معهم حتى تمكننا الفرصة فنصرح

ونعلن بالمقصود ، لأن التصريح بذلك والوقت لم يحن بعد يعود علينا بنقيض المقصود ، هكذا قال جماعة منهم قدموا للمحاكمة ورفعت عليهم قضايا بمحاربة دين الدولة الرسمي فكانوا يتبرأون من الكفر والإلحاد ويصرحون بأنهم مؤمنون ويؤولون كلامهم الذي ألحدوا به في مؤلفاتهم ومقالاتهم ، فإذا أفلتوا من الحكم تهكموا بالقرآن والدين وسخروا من الإسلام وأهله ، وعندنا مكاتب بخط الزيات وأحمد أمين يخاطبان فيها ذلك الملحد النذل إسماعيل مظهر لعنهم الله يقولان فيها إن هذه التصريحات الهامة المفيدة للمجتمع والمصلحة للرأي العام لا زال أوان التصريح بها لم يحضر ، فاقتصر الآن في مقالاتك للرسالة على الأبحاث الأدبية والتاريخية ، فإن الرأي العام لا زال لم ينضج لقبول ما تقول في مثل هذا ، مما هو غير حاضر معنا ، وماذا يقول هذا اللعين مما لا زال الرأي العام لم ينضج بقبوله ؟ ! يقول : إن فكرة وجود الإله فكرة خاطئة ، وإن القرآن إنما هو من كلام أصدق الصادقين وإمام الأنبياء والمرسلين ﷺ ، وإنه لم يكن اسمه محمد بن عبد الله بل كان اسمه قثم ، وأنه مما لا أستجيز حكايته لعنة الله على قائله ، وقد فعل والحمد لله وذهب به إلى أمه الهاوية مع الكاتبين له وجمعهم مع إخوانهم الكفرة في دار الهوان . فهذه الأقوال هي التي يقول عنها الزيات وأحمد أمين : إن الرأي العام لا زال لم ينضج لقبولها ، ثم في كتبهم ومقالاتهم قد لا يفصحون بذلك وإنما يمهدون له انتظاراً لوصول الوقت كما قالوا وكذلك تظاهر بعضهم بالإسلام والتراجع عن الإلحاد وكتب في مسائل إسلامية ، فحصل بينه وبين بعض أصحابه شنآن فكتب يفضحه على صفحات الجرائد ، ويكذبه فيما يتظاهر به من الإيمان ، وقال له : ألم تكن يمينك في مجالسنا : والله الذي لا وجود له ؟ ! وكذلك كان عبد القادر المغربي يحضر مسند أحمد على شيخنا الإمام ابن جعفر بمنزله بصالحية دمشق وحضرت أنا وهو على شيخنا المذكور مجالس من كتابه في العلم النبوي ، وذلك كان منه خداعاً للمؤمنين لأنه كان إذا خلا بإخوانه الملاحدة صرح لهم بنقيض ذلك حتى جاء جماعة من علماء دمشق وأعيانها إلى شيخنا المذكور يطلبون منه أن يطرده ولا يقرأ معه مسند أحمد ، وكان يقرؤه في المسجد بطلب منه ، فاضطر لترك القراءة من أجل طلبهم ، وكان محمد كرد علي

لا يتظاهر لأهل الإيمان إلا بما يدل على الإيمان ، فإذا خلا بالكفرة أمثاله فلا تسأل عن كفره بالله وإلحاده، وقد اتفق أن دخلت يوماً لصلاة العصر بالمشهد الحسيني ومعي بعض أفراخ الملاحدة ممن كان لا يظهر عليه إلحاد في ذلك الوقت وكان صديقاً لمحمد كرد على فوجدناه خارجاً من المشهد فتعجبنا، فسلم عليه من كان معي ووقف يمازحه قائلا : كيف جئت تزور الحسين؟ فقال له : أنا والله ما أعتقد في محمد ، فكيف أعتقد في الحسين؟ إنما جئت للفرجة على المكان ومعرفته، وكم لهؤلاء من نظير فهم في مجالس المؤمنين يجبنون عن التصريح بإلحادهم، ولكن إذا انفردوا أو طمعوا في شخص أن يجروه إلى الإلحاد صرحوا بذلك .

السابع : أن الله تعالى قال : (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) أي يزيدهم فيه ، وهذا الإمداد منه تعالى لم يحصل للمنافقين ، بل قضى على نفاقهم وأظهر دينه وأعلى كلمته حتى لم يبق بجزيرة العرب منافقاً . ثم هم في حال وجودهم كانو ضعفاء متسترين يضعف أمرهم يوماً بعد يوم وإنما حصل الإمداد والظهور والزيادة كل يوم لهؤلاء المارقين الذين ظهروا على أهل الحق وانتصروا على أهل الإيمان بحكم الوقت الذي قضى الله أن يظهروا فيه كما أخبر النبي ﷺ .

الثامن : أن الله تعالى قال فيهم (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) والشراء دفع شيء في مقابلة أخذ غيره، فمعنى الآية أنهم دفعوا الهداية وأخذوا بدلها الكفر والضلالة وذلك لا يتصور إلا إذا كانوا مهتدين متصفين بالهداية ثم فارقوها، والمنافقون لم يكونوا كذلك ولا كانت عندهم هداية مطلقاً لأنهم ما آمنوا حقيقة في وقت ما من عمرهم وإنما أظهروا الإيمان بلسانهم مع الإصرار على الكفر في بواطنهم وذلك أخبث الكفر الذي هو النفاق وإنما الذين كانوا مؤمنين في الأصل متمسكين بالإسلام مهديين به ، ثم باعوا تلك الهداية واشتروا بها الكفر والضلالة هم هؤلاء المارقون .

التاسع : وكذلك المثل الذي ضربه الله تعالى لهم فإنه لا يتنزل على المنافقين وإنما يتنزل على هؤلاء المارقين لأن المنافق الأصلي ما استضاء بنور الإيمان قط

وما دخل قلبه منه شيء ، بل هو مستمر على كفره وظلمة قلبه به، وإنما الذى استضاء أولا بنور الإيمان وانتفع به ، ثم حرمه الله منه وأذهب نوره من قلبه هم هؤلاء المارقون الذين ولدوا فى الإسلام بين أبوين مسلمين وتربوا فيه وشبوا عليه إلى أن دخلوا فى المدارس الإفرنجية وتعلقوا بالضلالات العصرية فسلب الله منهم الإيمان وأذهب الله نوره من قلوبهم ، وتركهم فى ظلمات الجهل والإلحاد لا يبصرون الحق ولا يهتدون إلى الرشد ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون عن ضلالهم ، لأنهم أشربوه فى قلوبهم ووجدوا فيه راحة من عناء التكاليف الشرعية والآداب الإسلامية وانخلاعاً من المروءة والإنسانية وانفسح أمامهم المجال لارتكاب كل ما تهواه نفوسهم من المحرمات والفواحش والإباحية التى يدعو إليها التفرنج والانخلاع من الدين والحياء والمروءة والآداب السامية .

العاشر : وكذلك المثل الثانى لا ينطبق على المنافقين وإنما ينطبق على هؤلاء المارقين لأنهم اتربيتهم فى الإيمان ، واعتقادهم حقيقة القرآن ظاهراً وإيماناً سطحياً عند أكثرهم دون من الحد صراحة منهم ، تتردد فى نفوسهم الشكوك إذا سمعوا دلائل الكتاب والسنة بإبطال ما هم عليه وضلال ما هم سائرون فيه ، فهى كالرعد والبرق تخوفهم بما فى نفوسهم من الاعتقاد الذى نشأوا عليه ، ولكنهم لغلبة الهوى عليهم يعرضون عنها خوفاً من ثبوت حجة الله عليهم وظهور كفرهم وفجورهم للمؤمنين ، ومنهم من يلحد ويعتقد كذب القرآن وأنه ليس من عند الله ، ومنهم من ألقت تلك التعاليم الإفرنجيه فى نفوسهم شكاً فيه فهم دائماً فى حيرة إذا نظروا إلى الشبه التى يلقيها عليهم الإفرنج ظهر لهم عدم صدق القرآن وإذا نظروا إلى حجج القرآن الباهرة وبراهينه الساطعة وكاد نوره يخطف أبصارهم مشوا فيه معتقدين صدقه وأنه من عند الله تعالى ، فإذا تعارضت لهم الشبه وجاءهم من دعاوى الكفار وعلومهم ما يعرضه وأظلم عليهم الأمر وقفوا حائرين كما هو مشاهد من كثير منهم .

الحادى عشر : أن النبى ﷺ سماهم مارقين من الدين أى خارجين منه

بعد أن كانوا داخلين فيه ، والمنافقون لم يدخلوا فيه يوماً ما ، فتعين أن هؤلاء هم المراد فى الآيات الكريمة .

فصــــل

ومع وصف النبي ﷺ إياهم بكونهم أحداث الأسنان يعنى شباباً وكونهم سفهاء الأحلام يعنى قليلى العقل ، ذكر لهم علامة أخرى تعم شبابهم وشيوخهم وهى حلق لحاهم .

روى ابن ماجة من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ «يخرج قوم فى آخر الزمان يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم أى حناجرهم أو حلوقهم سيماهم التحليق إذا رأيتموهم فاقتلوهم» ورواه مسلم فى صحيحه من حديث أبى ذر ورافع بن عمرو الغفارى أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول «إن ناساً من أمتى سيماهم التحليق يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون إليه هم شر الخلق والخليقة» وكذا رواه أحمد وابن ماجة وغيرهما .

ورواه أحمد والبخارى ومسلم من حديث أبى سعيد الخدرى وفى آخره قالوا يارسول الله ماسيماهم أى علامتهم قال «التحليق» وفيه «يحسنون القول ويسيئون العمل» كما سيأتى .

وقد ورد فى حديث آخر عند الطبرانى فى الكبير أنهم يحلقون أقفيتهم كما هو الواقع منهم فإنهم يتركون شعر رءوسهم مع حلق القفا تبعا لأسيادهم الإفرنج الذين يزعمون كذباً أنهم يحاربونهم ويبغضونهم وهم والله أحب الناس إلى قلوبهم فقبح الله سعيهم ولعنهم ما أوقحهم وأقل حياءهم ،

وقد روى عن النبي ﷺ النهى عن حلق القفا إلا عند الحاجة تباعداً من التشبه بالكفار أعداء الدين .

قال أبو نعيم فى تاريخ أصبهان : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن يوسف ثنا سهل بن عبد الله ثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أنس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال «نهى رسول الله ﷺ

عن حلق القفا إلا عند الحاجة ، وهكذا رواه الطبرانى فى الصغير .

ورواه ابن عساكر من حديثه مرفوعاً إلى النبى ﷺ قال « حلق القفا من غير حجامة مجوسية » أى خصلة مجوسية من أخلاق المجوس ، ومن تشبه بقوم فهو منهم كما قال النبى ﷺ .

واعلم أن الأحاديث الواردة فى هؤلاء المارقين مشابهة للأحاديث الواردة فى الخوارج وهم وإن كانوا كلهم خوارج عن الدين وكلهم كلاب النار كما قال النبى ﷺ إلا أنهم على قسمين ، فالقسم المعروف بهذا الاسم الخاص ورد وصفهم بالتنطع فى الدين والغلو فيه ، وإن أحدنا يحقر صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، والقسم الثانى الذين هم ملاحدة هذا العصر ورد فى وصفهم أنهم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام وأن علامتهم التحليق ، ولما طلع قرن الشيطان بنجد فى أواخر القرن الحادى عشر وانتشرت فتنته كان العلماء يحملون جميع هذه الأحاديث عليه وعلى أصحابه ، لأنه لم يكن ظهر هذا النوع من الخوارج الملاحدة ، وكانوا يحملون التحليق على حلق الرأس ، وهماً منهم لأن حلق الرأس ليس شعاراً لهم وحدهم ثم ليس هو بمحرم ، بل غايته أنه مكروه أو خلاف الأولى على قول ، أو مباح على قول ، والأدلة محتملة للقولين وإن كان الراجح الأول . فلم يكن فى نجد من يحلق رأسه إلا نادراً وإنما المستغرب فى الإسلام والذى يصح أن يكون علامة المارقين منه حلق اللحية الذى لم يكن معروفاً فى الإسلام ، والذى نهى النبى ﷺ أمته عنه وعن التشبه بالكفار والمجوس فيه ، ويؤيده الحديث الآخر وهو محلقة أقفيتهم ، فإن حلق القفا ما ظهر إلا مع حلق اللحى والتشبه بالكفار الذى ينصره هؤلاء المارقون ويدعون إليه ويحاربون من يحاربه .

فصـــل

وكذلك وصفهم النبى ﷺ بأنهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان.

فروى البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث أبى سعيد الخدرى

أن رسول الله ﷺ قال : « إن بعدى من أمتى قوماً يقرءون القرآن لايجاوز حلاقيمهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » .

فهؤلاء المارقون بالمغرب الآن يحققون هذا الحديث الوارد فيهم فيقتلون المسلمين ويدعون إخوانهم الفرنسيس والإسبانيين وأشقاءهم اليهود لعنهم الله أجمعين ، فلا يكاد يمر عليهم يوم بدون اغتيال اثنين أو ثلاثة من المسلمين ، فنهم من يقتلونه لأنهم حرموا الاشتغال فى الأسبوع الفلانى فاشتغل هو ليقوت عياله ، ومنهم من يقتلونه لأنهم أمروا بغلق الدكاكين فى الأسبوع الفلانى ففتح دكانه للضرورة التى دعته إلى ذلك ، ومنهم من يقتلونه لأنهم حرموا شرب المبردات المباحة شرعاً فشربها ، أو منعوا من شرب الدخان أو بيعه فشربه هو أو باعه ، ومنهم من يقتلونه لأنهم حرموا بيع الموز والتفاح فباعهما ، ومنهم من يقتلونه لأنهم حرموا استعمال الغاز والاستنارة به فرأوه يشتريه ، والعجب العجاب أن اليهود والنصارى وخصوصاً الذين يزعمون أنهم أعداؤهم وأنهم يحاربونهم لنيل الاستقلال منهم هم الفاتحون لكثير من دكاكين بيع الغاز والدخان والمشروبات وغيرها مما حرموه ، ومع ذلك فلا يمسون أحداً منهم بسوء بحيث قد يخرج المسلم حاملا صفيحة الغاز الصغيرة بيده من دكان الفرنسى أو اليهودى فيضرب بالرصاص قرب باب دكان البائع فيقع قتيلا ، وصاحب الدكان ينظر فرحاً مسروراً وآمنا من إذايتهم ، فهم يسفكون دماء المسلمين على ماأحله الله لهم ويدعون أهل الأوثان كما قال عنهم النبى ﷺ ، لاسيما وأهل الأوثان أعداء لهم كما يزعمون وأغرب من هذا أن القاتل للمسلم على شرب الدخان غالباً يكون سكران فى ساعة ارتكاب جريمة القتل ، لأن السكر يعينه ويخفف عنه الحكم إن وقع فى يد الحكام من إخوانه الكفار الذين هم أرحم بالمسلمين منه ، لعنه الله ولعن الآمرين له بذلك .

يزعمون أنهم يقتلون المسلمين لمقاطعة الاستعمار وهم أعظم الناس ترويجاً لبضائعه وأشدهم دعاية لترويجها بالتفرنج فى الملابس والعادات الذى لعله يأخذ

نصف أموالهم ، ولكن حيث إنه وسيلة إلى الكفر ودعاية إلى التفرنج ومفارقة عوائد الإسلام والقومية العربية والوطنية ، فليس فى الإنفاق فيه ضرر ولا مساعدة للاستعمار ، وإنما تحصل مساعدة الاستعمار بشرب الليموناتة التى ثمنها عشرون فرنكا ونحو ذلك مما لا غرض لهم فيه .

بل أعجب من هذا كله أنهم فى الوقت الذى يقتلون فيه شارب المبردات ويأمرون بذلك لما فيه من مقاطعة الاستعمار ، يسافرون إلى فرنسا عدوتهم فيما يزعمون فيقيمون بها الشهور يصرفون فيها ملايين الفرنكات على نفس الفرنسيين فى الفسق والفجور ! ! .

فصــــل

وأعجب من هذا وأعجب أنهم يقتلون المسلمين على قيامهم بالدين وأداء الفرائض والسنن فقتلوا جماعة من أجل صلاتهم الجمعة حتى عطلت الجمعة نحو عامين ببعض مدن المغرب كسلا والرباط ، وعطلت فى أكثر المدن الأخرى التى لهم فيها كثرة وقوة لأنهم قتلوا خطيباً بفاس من أفاضل العلماء الأتقياء . ثم قتلوا خطيبين آخرين بفاس أيضاً ، وقتلوا خطيباً بالدار البيضاء وخطيباً بسلا وضربوا آخرين فسلمهم الله تعالى ، وقتلوا جماعة ضحوا يوم العيد وحرقوا دوراً لهذه الغاية . وهددوا الناس بالقتل إذا ذهبوا لأداء فريضة الحج ، وهددوا جماعة بالقتل لأجل ذكر الله تعالى والصلاة على النبى ﷺ سواء فى الزوايا والمساجد أو فى البيوت فقد دقوا الأبواب بالليل على عدة بيوت كان أهلها مجتمعين لذكر الله تعالى . وبعضهم للصلاة على النبى ﷺ بدلائل الخيرات فأسكتوهم ووضعوا القنابل فى المساجد والزوايا وأضرحة الأولياء فأصيب ناس وسلم آخرون فى حين أن كنائس النصارى وبيع اليهود على كثرتها بمدن المغرب عامرة لم يمس أحد من أهلها بسوء ولا منع واحد منهم من الذهاب إلى كنيسته يوم السبت ويوم الأحد ، كما أنهم عزموا على أخذ الزوايا لجعلهم مدارس وقطع عبادة الله تعالى ، وما خطر لهم ببال أن يأخذوا معبداً لليهود أو كنيسة للنصارى .

وقد أخبر النبي ﷺ عنهم أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وأن السنة فى زمانهم تصير بدعة والبدعة سنة .

فروى رزين العبدرى من حديث على عليه السلام عن النبي ﷺ قال : « كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا يارسول الله وإن ذلك لكائن ؟ قال : نعم » فقد صار هؤلاء الملاحدة المارقون يأمرون بالمنكر من خروج النساء سافرات وذهابهن إلى التياترات ومحلات الفجور وإقامة الحفلات المشتملة على ذلك ، وينهون عن المعروف من إقامة الصلاة وذكر الله تعالى وغير ذلك مما أشرنا إلى بعض البعض مما هو واقع الآن بالمغرب لعنهم الله .

فصــــل

وقد أخبر النبي ﷺ بجميع أفعالهم وإذايتهم للمسلمين وإهانتهم لهم على التعلق بأذيال الإسلام وامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ، فروى ابن وضاح فى البدع من طريق عطية عن الوليد بن عبد الرحمن عن على قال : قال رسول الله ﷺ « ويح لهذه الامة ماذا يلقى فيهم من أطاع الله ؟ كيف يكذبونه ويضربونه أنه أطاع الله ، من أجل أنهم ما أطاعوا الله ، قال عمر بن الخطاب يارسول الله الناس يومئذ على الإسلام ؟ قال : نعم ياعمر ، قال عمر يارسول الله ولم يبغضون من أمرهم بطاعة الله ؟ قال : ترك القوم الطريق وتزين الرجل منهم بزينة المرأة لزوجها وتبرج النساء ، زيهم زى الملوك الجبابرة يتسمنون كالنساء فإذا تكلم أولياء الله وأمروهم بطاعة الله قيل له أنت قرين الشيطان ورأس الضلالة تكذب بالكتب تحرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، تأولوا كتاب الله على غير تأويله واستذلوا أولياء الله » .

فهذا والله وصفهم وحالهم وقولهم ، وقد سمعنا هذا منهم ووصفونا بأننا خوارج نخالف دين الإسلام بما ننهى عنه من فجورهم وكفرهم وإلحادهم وكتبوا ذلك عنا وعن أمثالنا فى جرائدهم لعنهم الله .

وروى أحمد والبزار والطبرانى من حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال : « ضاف ضيف رجلا من بنى إسرائيل وعنده كلبة تنبح فقالت

الكلبة والله لا أنبح ضيف أهلى فعوى جراؤها فى بطنها قال فأوحى الله إلى رجل منهم هذا مثل أمة تكون من بعدكم يقهر سفهاؤها حلماءها » .

وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ستغربلون حتى تصيروا فى حثالة من الناس مرجت عهودهم وخربت أماناتهم » فقال قائل فكيف بنا يارسول الله ؟ قال : « تعملون ماتعرفون وتتركون ماتنكرون وتقولون أحد أحد أنصرنا على من ظلمنا واكفنا من بغانا » .

فصـــــل

وجل هؤلاء الزنادقة المارقين خونة ولا سيما زعماؤهم ورؤساؤهم فقل أن تجد واحداً منهم إلا وهو خائن لله ورسوله ودينه وأمته ووطنه ، ثم هم مع ذلك لا هم لهم إلا تخوين الأمناء واتهام الأبرياء خوفاً على مراكزهم ومناصبهم أن تذهب وتداس بالأقدام من أكثر أهل الأمانة والإخلاص لله ورسوله والدين والأمة والوطن ، فلا يوجد واحد منهم بدون استثناء إلا يتمشدق بكلمة خائن ، ولا يخون إلا من يعرف من الأمناء الأبرياء الأتقياء بهذا وصفهم النبى ﷺ فى الحديث الذى كاد يبلغ حد التواتر .

فعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليأتين على الناس زمان يكذب فيه الصادق ويصدق فيه الكاذب ويخون فيه الأمين ويؤتمن فيه الخائن ويكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع » رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أمام الدجال سنين خداعة يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ويخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن » رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وفى رواية له « من أشراط الساعة الفحش والتفحش وقطيعة الأرحام وتخوين الأمين وائتمان الخائن » .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لاتقوم الساعة حتى يكون القرآن عاراً ، ويتقارب الزمان ، ويؤتمن التهماء ، ويتهم الأمناء ، ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ، ويكثر الهرج » قالوا : وما الهرج يارسول الله؟ قال « القتل ، ويظهر البغى والحسد والشح ، وتختلف الأمور بين الناس ويتبع الهوى » رواه الطبرانى .

وعن عمرو بن عوف رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « إن بين يدى الساعة سنين خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين» رواه البزار وأبو أحمد الحاكم وابن عساكر فى التاريخ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال« والذى نفسى بيده لاتقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن» رواه الطبرانى فى الأوسط مطولا وأصله فى الصحيح ورواه الحاكم فى المستدرك وسيأتى.

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعلام الساعة وأشراطها أن يؤتمن الخائن وأن يخون الأمين» رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية وجماعة .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وسوء الجوار وقطيعة الأرحام وحتى يخون الأمين ويؤتمن الخائن» قيل يارسول الله فكيف المؤمن يومئذ ؟ قال : « كالنحلة وقعت فلم تفسد وأكلت فلم تكسر ووضعت طيباً ، ومثل المؤمن كمثل قطعة الذهب الأحمر دخلت النار فنفخ عليها فلم تتغير ووزنت فلم تنقص » رواه البزار والحاكم وصححه .

فصل

قدمنا أنهم فى المغرب يقتلون الناس لأجل الصلاة ويعيرون الرجل بالصلاة ويجعلونها دليل الخيانة ويسخرون منه فى المجالس لأنه يصلى ، بل وقع ذلك لنا أيضا .

وقد روى نعيم بن حماد فى الفتن والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن يفارق الرجل فيها أخاه وأباه، تطير الفتنة فى قلوب الرجال منهم إلى يوم القيامة حتى يعير الرجل فيها بصلاته كما تعير الزانية بزناها».

فصل

وبسبب هؤلاء الملاحدة المارقين انتشر الكفر والإلحاد حتى بين طلبة علم الدين فصاروا أكفر من طلبة المدارس وأخذ من رؤوس هؤلاء الزنادقة تقليداً لهم وعملا بدعايتهم. وصار معهد القرويين معهداً للالحاد والكفر بالله ومحاربة القرآن والسخرية من العقائد الإسلامية والإستهانة بالدين وأشرف الخلق ﷺ، مع تعظيم شأن الملاحدة ومشاهير الكفار حتى صاروا يمنعون المدرس أن يستدل بالقرآن أو يذكر النبي ﷺ باسم الرسالة، ويأمرونه إذا ذكره أن يقول: قال محمد فقط، بل صار المدرس منهم ينادى بأن تفكيره هداه إلى أن دين الإسلام غير صحيح، وأنه حر فى عقيدته، فى أمثال هذا مما هو معروف أما الصلاة فهم أبعد الناس منها، وهى أبغض شىء إليهم، وهكذا كان حال طلبة الأزهر بالنسبة إلى الصلاة فكنت ترى الناس يصلون وهم يأكلون ويمزحون ويضحكون، وقد روى ابن عساكر فى تاريخه من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «يأتى على الناس زمان يجتمعون فى مساجدهم لا يصلون».

فصل

ومن كفرهم وإلحادهم أن مارقاً منهم خطب بمدينة فاس يوم الجمعة فقال لعنه الله فى خطبته: إن الناس يقولون فى السلطان إنه محمد الخامس، والواقع أنه محمد الثانى، بل هذا قد جاء بما لم يأت به محمد الأول، وخطب أيضاً فاسق مارق بالمغرب وهو من كبارهم ورءوس الضلال فيهم وكانت خطبته فى وسط النساء فقال: إن عائشة هذه. يعنى بنت محمد الخامس، أفضل من عائشة بنت الصديق يعنى زوجة

رسول الله ﷺ وأم المؤمنين التي فضلها رسول الله ﷺ على سائر النساء .

وخطب بمصر قديماً واحد من هؤلاء لما كان الخديوى أرسل الملحد الأعمى إلى باريس ليتعلم الكفر والإلحاد ويرجع فينشره فى البلاد بين العباد ، وكان الخديوى حاضراً فى المسجد لصلاة الجمعة فقال هذا الكافر الزنديق لعنه الله إن هذا - وأشار إلى الخديوى - لما جاءه الأعمى ما عبس وما تولى بل أجابه إلى رغبته . ومحمد بن عبد الله لما جاءه الأعمى عبس وتولى ، وكان بعض العلماء حاضراً فصاح فى وجهه وقام وأمر الناس بإعادة الصلاة وعرفهم أن هذا ارتد ومرق من الدين ، وخرج فى الحال فذهب إلى زوجته فأعلمها أنها بائنة من زوجها المرتد ، إلا أن ذلك كان قديماً أيام كان للإسلام حكم وظهور ، ولعلماء الإسلام قدم فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وقد أخبر النبى ﷺ بهذه الحوادث وهؤلاء الخطباء والمخطوب فيهم وهو من العجائب .

فروى الطبرانى فى الكبير وأبو نصر السجزى فى الإبانة وابن عساكر فى التاريخ من حديث أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عاراً ويكون الإسلام غريبا وتبدو الشحناء بين الناس وحتى يقبض العلم ويهرم الزمان وينقص عمر البشر وتنقص السنون والثمرات ويؤتمن التهماء ويتهم الأمناء ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ويكثر الهرج وهو القتل وحتى تبنى الغرف فتطاول وحتى تحزن ذوات الأولاد وتفرح العواقر ، ويظهر البغى والحسد والشح ويهلك الناس ويكثر الكذب ويقل الصدق وتزوى الأرض زياً ويقوم الخطباء بالكذب فيجعلون حتى لشرار أمتى فمن صدقهم بذلك ورضى به لم يرح رائحة الجنة » .

فقوله ﷺ « تقوم الخطباء بالكذب فيجعلون حتى لشرار أمتى » صريح فى هؤلاء الخطباء الفجرة الكفرة الذين ذكرناهم وأمثالهم ممن لم يبلغنا خبرهم

من المنافقين المداهنين الذين قارنوا بين النبي ﷺ وبين سلاطين الوقت أو فضلوهم عليه ، وجعلوا حقه ﷺ من المحبة والتعظيم والإجلال والمكانة السامية التي تجب له ، لملوكهم بالكذب والنفاق ، وإن من صدقهم في ذلك من إخوانهم الملاحدة المارقين لم يجدوا رائحة الجنة .

فصل

حدثني شيخنا شيخ الديار المصرية وعالمها الشيخ محمد بخيت رحمه الله قال: لما قامت الحركة الوطنية عقب الحرب العظمى السابقة واتحد هؤلاء المارقون مع الأقباط ليطالبوا بالإستقلال كان مقر إجتماعهم وقطبهم الجامع الأزهر ، ومنه كانت تنظم المظاهرات فكان يعمر بالأقباط ، والقسس منهم يصعدون إلى المنبر خطباء مناوبة مع المصريين. قال: وذات يوم كان المسمى مصطفى القاياتي وهو من المدرسين في الأزهر والقائل : إن سعداً أفضل من النبي ﷺ وأنه جاء بما لم يأت به النبي ﷺ وأنه رسول الوطنية ، كان هذا اللعين حاضراً معهم ، فأخذ الصليب ووضعه في محراب الأزهر وقام لعنه الله خطيبا فدعا إلى إتحاد الإسلام والنصرانية القبطية ودعا الحاضرين إلى صلاة ركعتين جميعاً مع وضع الصليب في المحراب وكبر وصلى ركعتين والصليب أمامه يصلي له ولله معاً في زعمه لعنه الله تعالى .

وقد ورد في السنة الإخبار بهذه الحادثة العجيبة ، مع كونها لم تتكرر ولا سمع بها إلا في تلك المرة . فروى ابن وضاح في كتاب البدع عن حذيفة ابن اليمان حامل أسرار المغيبات من أخبار الفتن والملاحم وأشراط الساعة عن رسول الله ﷺ أنه قال: « لا تقوم الساعة حتى تعبد الأصنام في المحاريب » فهذا الأثر من أعجب ماروى عن حذيفة رضي الله عنه .

فصل

وقد شاهدت كثيراً من إجتماعاتهم في الأزهر وخطبهم فكان الأزهر يكون كأعظم سوق مختلطاً باليهود والنصارى والملاحدة والفسقة والخطباء

منهم يعلون المنابر واحداً تلو الآخر، وقد أخبر النبي ﷺ بهذا أيضاً، فروى أبو نعيم فى الحلية من حديث حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «من أشراط الساعة علو أهل الفسق فى المساجد وظهور أهل المنكر على أهل المعروف».

وروى أبو نعيم عنه أيضاً فى حديث طويل سيأتى بتمامه إن شاء الله تعالى «من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة فذكرها وفيها: وعلت أصوات الفسقة فى المساجد».

وفى سنن الترمذى من حديث على عليه السلام عن النبى ﷺ قال: «إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة فقد حل بها البلاء. تذكر الحديث وفيه: وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم» الحديث.

فصل

(ومن المعلوم أنهم لا يجتمعون فى نار أو تياترو) وهو ناديهم أو منزل فاجر منهم، إلا وقاموا يخطبون الواحد تلو الآخر وبذلك جاءت الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

فروى الطبرانى فى الكبير من حديث حكيم بن حزام أن رسول الله ﷺ قال: «إنكم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه وقليل سؤاله كثير معطوه والعمل فيه خير من العلم، وسيأتى عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه كثير سؤاله قليل معطوه، العلم فيه خير من العمل» أى نشر العلم ببيان ضلال أهل الوقت ومخالفتهم للدين والرد على الملاحدة الكثيرين الذين يظهرون كل يوم بلون من الإلحاد، فمن طعن فى القرآن إلى طعن فى النبى ﷺ أو تكذيب لسنته. إلى إباحة محرمات وإنكار فرائض وواجبات، وغير ذلك مما هو معروف، فمحاربة هؤلاء وإظهار كفرهم وبيان جهلهم وضلالهم وإلحادهم حتى لا يغتر بهم الناس أفضل من العمل القاصر نفعه على صاحبه بعد الفرائض التى لا يعذر فى تركها أحد.

وروى أحمد فى مسنده من حديث أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم فى زمان علماؤه كثير وخطباؤه قليل من ترك عشر مايعلم غوى ، وسيأتى على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه من تمسك فيه بعشر مايعلم نجا » .

فصل

ومما أحدثوه أو تبعوا فيه الإفرنج الكفار المظاهرات فى الشوارع بالصياح ورفع الأصوات بمطالبهم معتقدين أن ذلك حرب وجهاد ، وقد أخبر النبى ﷺ بذلك .

قال الطبرانى فى الكبير : حدثنا أبو شعيب ثنا يحي بن عبد الله البابلتى ثنا الأوزاعى حدثنى محمد بن خنزابة ثنى عروة بن محمد السعدى عن أبيه محمد بن عطية عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث إذا رأيتهن فعند ذلك تقوم الساعة : خراب العامر وعمار الخراب ، وأن يكون الغزو نداء ، وأن يتمرس الرجل بأمانته تمرس البعير بالشجرة » ورواه البغوى فى معجم الصحابة وابن عساكر فى التاريخ بلفظ « إن من أشراط الساعة إخراب العامر وإعمار الخراب » الحديث مثله ، فكون الغزو نداء وصياحاً هو هذه المظاهرات التى قلدوا فيها أئمتهم الكفار من الإفرنج .

فصل

ومن شعائرهم تبعاً للكفار وتقليداً لهم وسيراً وراءهم حذو النعل بالنعل انقسامهم أحزاباً مختلفين متضادين متحاربين كما قال النبى ﷺ فيما روى عنه من طريق جماعة من الصحابة .

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن أول هذه الأمة خيارهم وآخرها شرارهم مختلفين متفرقين » رواه ابن حبان فى صحيحه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال : « كيف بك إذا بقيت فى حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين

أصابعه.قال فيم تأمرني ؟قال : « عليك بما تعرف ودع ماتنكر وعليك بخاصة نفسك وإياك وعوامهم » وفي رواية « إلزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ماتعرف ودع ماتنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع أمر العامة » رواه أبو داود والترمذي وصححه واللفظ له وابن ماجة وآخرون .

وهكذا ورد عن النبي ﷺ من حديث عمر بن الخطاب وابنه عبدالله وعبادة ابن الصامت وسهل بن سعد الساعدي وثوبان، والحسن مرسلا، وفي حديث ثوبان: قالوا كيف نصنع يارسول الله ؟ قال « اصبروا وخالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم » رواه سعيد بن منصور والنسائي في الكبرى .

فصل

وزعماؤهم كلهم فسقة فجرة ملاحدة كفرة سقطة سفلة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .

فروى أحمد وأبو يعلى والطحاوي في مشكل الآثار والطبراني في الأوسط وجماعة من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « إن بين يدي الساعة - وفي لفظ بعضهم إن أمام الدجال سنين خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين ويتكلم فيها الرويبضة . قيل : وما الرويبضة ؟ قال : الفاسق - وفي رواية - الفويسق يتكلم في أمر العامة » .

وروى البزار والطحاوي في مشكل الآثار من حديث عمرو بن عوف مثله إلا أن فيه: قيل يارسول الله وما الرويبضة؟ قال: « الامرؤ التافه يتكلم في أمر العامة » وقال الطحاوي في روايته: قيل وما الرويبضة يارسول الله؟ قال « من لا يؤبه له » وكذلك رواه الطبراني في الكبير من حديث عوف بن مالك بلفظ الطحاوي.

وقال أبو بكر الشافعي في الغيلانيات ، حدثنا موسى بن سهل بن كثير ثنا يزيد بن هارون ثنا عبد الملك بن قدامة عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب

فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل وما الرويبضة ؟ قال الرجل التافه ينطق فى أمر العامة ، قال أبو عبيد : التافة الخسيس .

وروى الطبرانى في الأوسط من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت ، قالوا يارسول الله وما الوعول وما التحوت ؟ قال « الوعول وجوه الناس وأشرافهم والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لايعلم بهم » .

صدق رسول الله ﷺ فالمغرب اليوم لم يبق فيه من الظاهرين إلا هؤلاء فهم الزعماء والرؤساء والقواد والحكام والأمراء ، بحيث انقلبت فيه الأوضاع رأساً على عقب نسأل الله اللطف والفرج عن أهله آمين .

فصل

ومن هذه الأحزاب فرقة تدعى الحزبية وهى شرذمة قليلة اتخذها بعض الملاحدة أحبولة لصيد الدينار والدرهم باسم رياسة الحزب المعدوم فى الواقع وساعده بعض كبار الفسقة لغرضه الساقط القذر من العبث بالغلمان وأسسوا نادياً للحزبية ظاهراً وليفسق بعضهم ببعض باطناً ، وحتى هؤلاء على حقارتهم ورد ذكرهم والإشارة إليهم من النبى ﷺ .

فروى الطبرانى فى الأوسط من حديث أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « يقبض الله العلماء ويقبض العلم منهم فينشأ أحداث وينزو بعضهم على بعض نزو العير على العير يكون الشيخ فيهم مستضعفاً فهذا وصف هذه الطائفة فى ناديهم ، حكى لنا ذلك عنهم من طرق متعددة ولولا ذلك ـ مع صيد الرئيس بهم للدنيا ـ لانقطع ذكرهم من ميادين الحزبية والسياسة بالمغرب على أن النبى ﷺ قد وصف جميعهم بأنهم فسقة كما رواه أبو يعلى والطبرانى في الأوسط من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كيف بكم أيها

الناس إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم أو فتياتكم » قالوا يارسول الله : إن هذا لكائن ؟ قال « نعم » الحديث .

وروى ابن وضاح فى البدع عن غير واحد من أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال : « كيف بكم إذا فسق شبابكم وطغت نساؤكم وكثر جهالكم » قالوا : وإن ذلك كائن يارسول الله ؟ قال « وأشد من ذلك » الحديث .

فصل

وعامهم قائمون بدعاية الناس إلى الفجور بتزيينه فى نظرهم باسم الحرية والتقدم والحضارة ، وحرصهم على إدخال النساء فى الحزبية ، والاجتماع معهم فى الأندية والمظاهرات ، والاختلاط بهم فى المجالس وحضور الحفلات ومن لم يجبهم إلى ذلك عادوه وأهانوه وسخروا منه وسموه خائناً ومتأخراً ورجعياً لعنهم الله وقد أخبر النبى ﷺ بذلك .

فروى أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتى على الناس زمان يخير فيه الرجل بين العجز والفجور فمن أدرك ذلك الزمان منكم فليختر العجز على الفجور » .

وروى ابن أبى شيبة فى مصنفه من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : « كيف أنتم إذا انفرجتم عن دينكم كما تنفرج المرأة عن قبلها لاتمنع من يأتيها ؟ قالوا : لاندرى ، قال : لكنى والله أدرى ، أنتم يومئذ بين عاجز وفاجر ، فقال رجل : قبح العاجز ، فقال حذيفة : قبحت أنت قبحت أنت » ، أى لأن العجز هو المطلوب الآن فى هذا الوقت الذى يدعون فيه المؤمن إلى الفجور ، فإن تبعهم وإلا حكموا بأنه عاجز ، بل ولا ينجو من إذايتهم إذا استمر متمسكا بدينه منابذاً لهم ولكفرهم وفجورهم ، وإن سكت عنهم ، وأقل إذايتهم له لمزهم إياه بالخيانة ، لأنهم يعلمون أنهم ليسوا على شىء فى نظر عامة المسلمين ، فخوفاً من نظرهم إلى المؤمن المتمسك بدينه المخالف لفجورهم بعين التقدير والاحترام

يلمزونه بالخيانة ليسقطوه من أعين العامة حسداً وبغياً وحقداً على أهل الإيمان ، وليحقق الله خبر رسوله ﷺ فى إخباره عن هذا الزمان بأن يخون فيه الأمين ويؤتمن فيه الخائن ، ولظنهم أنهم إذا لمزوا المؤمن الأمين بالخيانة نفر منه العامة وسقط من أعينهم ، فلا يسمعون له نصيحة ولا إرشاداً ولا دعوة إلى الحق الذى هو عدوهم الأكبر .

قال النبى ﷺ : « يوشك أن يعود الناس شجرة ذات شوك إن نافذتهم نافذوك وإن تركتهم لم يتركوك وإن هربت منهم طلبوك » قيل : فكيف المخرج من ذلك يارسول الله ؟ قال : « تقرضهم عن عرضك ليوم فاقتك » رواه أبو يعلى والطبرانى وابن عساكر ، ومعنى قوله ﷺ إن نافذتهم نافذوك ، أى إن قلت لهم قالوا لك وردوا عليك مانصحتهم به وأرشدتهم إليه ، من ضلالهم وقبح ماهم عليه وإن تركتهم وحالهم فلم تتعرض لهم لم يتركوك بل اشتغلوا بإذايتك كما هو المشاهد منهم مع أهل الإيمان

فصـــل

ووصفهم النبى ﷺ بأوصاف أخرى هى أوصافهم ، فروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « سيجىء أقوام فى آخر الزمان تكون وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين ، لايرعون عن قبيح . إن تابعتهم واربوك ـ أى خاتلوك ـ وإن تواريت عنهم اغتابوك ، وإن حدثوك كذبوك ، وإن ائتمنتهم خانوك ، صبيهم عارم وشابهم شاطر وشيخهم لايأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، الاعتزاز بهم ذل وطلب مافى أيديهم فقر ، الحليم فيهم غاو ، والآمر فيهم بالمعروف متهم ، والمؤمن فيهم مستضعف والفاسق فيهم مشرف ، والسنة فيهم بدعة ، والبدعة فيهم سنة ، فعند ذلك يسلط الله عليهم شرارهم ويدعو خيارهم فلا يستجاب لهم » رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير .

وروى مسلم فى صحيحه من حديث حذيفة بن اليمان أن النبى ﷺ قال

أثناء حديث : « يكون بعدى أئمة لايهتدون بهداى ولا يستنون بسنتى وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس » .

وروى البخارى ومسلم من حديث حذيفة أيضاً قال : « قلت يارسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال نعم ، فقلت : بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم وفيه دخن ، قلت وما دخنه ؟ قال يستنون بغير سنتى ويهتدون بغير هديى ، تعرف منهم وتنكر فقلت : هل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها . فقلت : يارسول الله صفهم لنا ، قال نعم : قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » الحديث .

فصل

وقد استعاذ النبى ﷺ أن يدركه زمانهم ، ودعا لأصحابه رضى الله عنهم بمثل ذلك فروى أحمد فى مسنده من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم لايدركنى زمان أو لاتدركوا زماناً لايتبع فيه العليم ولايستحى فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب » هكذا والله حالهم ، فهم أعاجم القلوب والميل والهوى ، ليس لهم من الإسلام إلا الاسم الذى سماهم به آباؤهم ، ولا من العروبة إلا اللسان ،

وقال الديلمى فى مسند الفردوس : أخبرنا أبى أخبرنا ابن النقور أخبرنا أبو سعد الإسماعيلى ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حفص الدينورى ثنا عبد الله ابن محمد بن حمدان الدينورى ثنا إسماعيل بن توبة الثقفى ثنا خلف بن خليفة عن أبى هاشم الرومانى عن زاذان عن سلمان عن على عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتى على الناس زمان لايتبع فيه العالم ولا يستحى فيه من الحليم ولا يوقر فيه الكبير ولا يرحم فيه الصغير يقتل بعضهم بعضاً على الدنيا ، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب لايعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً يمشى الصالح فيهم مستخفياً . أولئك شرار خلق الله

ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة، فما أشد مطابقة هذا الحديث لهم ، فهم اليوم يقتل بعضهم بعضاً للخلاف الحزبي الذي بينهم، ويقتلون حتى الأطفال ، بل يقصمون ظهورهم وهم أحياء من غير رحمة ولا شفقة ، ويبقرون البطون ويقطعون الآذان والأنف بحيث لم تعرف قتلاهم إلا بأرجلهم وملابسهم ، كل هذا لأجل الدنيا والخلاف الحزبي من أجل الحكم والإستيلاء على كراسي الرياسة ، لعنهم الله أجمعين ، فكل حزب منهم أكفر من الآخر .

ومن أجلهم أيضاً قال النبي ﷺ لما سأله أبو ثعلبة الخشني عن قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فقال « بل ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ، فإن من ورائكم أياماً الصابر فيها كالقابض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون بعملكم» رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح ، وابن ماجة وآخرون .

فالصابر اليوم على دينه له من الأجر ماقاله رسول الله ﷺ ، لأجل إذاياتهم وإهاناتهم ومحاربتهم لأهل الدين بجميع أنواع الإذايات والإهانات والمحاربة. لعنهم الله وقطع دابرهم آمين .

فصل

وشعارهم الكذب في أقوالهم ودعاياتهم ومزاعمهم وأعمالهم ومؤلفاتهم ومجلاتهم وجرائدهم ، لا ينطقون إلا به ولا يعتمدون في ترويج ضلالهم إلا عليه وعلى النفاق والخداع والمخاتلة ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم » رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة والطبراني بسند صحيح من حديث النعمان بن بشير .

وروى ابن وضاح في البدع من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيخرج قوم في آخر الزمان هم دجالون

كذابون يبدع من الحديث لم تسمعوا به أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يفتنونكم».

وهذا أيضاً من أشد الأحاديث مطابقة لوصفهم فإنهم لعنهم الله مافتنوا الناس إلا بالكذب والنفاق والخداع ودعوى أن مايدعون إليه من الكفر والإلحاد والتفرنج والفسوق والفجور إنما هو لأجل الحرية ونيل الإستقلال وأنهم إذا لم يفعلوا ذلك ولم يمرقوا من الدين لم ينالوا الإستقلال وقد سمعت هذه الأيام امرأة متفرنجة مارقة تقول : لو فعلنا هذا من زمان لما تغلب علينا المستعمرون ، أو لكنا استقللنا من مدة ، وهذا شيء لقنها إياه زوجها الفاجر المارق ، وهي أيضاً كذابة منافقة لأن التفرنج والإنسلاخ من الدين والمروءة شيء وافق هواها وهي متأكدة من أنه لا مسيس له بالاستقلال وإنما تتستر بذلك كما هي طريقتهم في إقامة عذرهم على ذلك عند المسلمين .

وقد أخبر النبي ﷺ بذلك وأنهم الذين يحملون الناس على التفرنج واتباع الكفار وبذلك كانوا دعاة إلى النار وكانوا شرار الخلق .

فروى أحمد والطبراني من حديث شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : «ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة فهم شرار الخلق» وهم الذين يحملون الناس على اتباع الكفار وتقليدهم في كل شيء والإبتعاد عن القومية العربية والأخلاق الإسلامية والانسلاخ من الدين والمروءة ، ويدعون مع ذلك أنهم أعداء الكفار وأنهم حرب لهم ، مع أنهم خدمة وأعوان لهم على الإسلام فلعنة الله على الظالمين .

فصل

ولهذا كان انتشارهم في الأرض وكثرتهم علامة على قرب الساعة ، كما قال النبي ﷺ : «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق» رواه مسلم من حديث ابن مسعود .

وروى أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن سبرة

المازنى قال : لقد سمعت حديثاً منذ زمان « إذا كنت فى قوم عشرين رجلا أو أقل أو أكثر فتصفحت وجوههم فلم ترفيهم رجلا يهاب الله عز وجل فاعلم أن الأمر قد حضر » .

فهؤلاء يجتمع منهم المئات والآلاف فلا يوجد منهم من يهاب الله عز وجل بل كلهم ملاحدة متفرنجون مارقون ليس على وجه أحد منهم سيما الخير ، وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعة حتى يفيض المال فيضاً ، ويغيض الكرام غيضاً ، ويجترىء الصغير على الكبير ، واللئيم على الكريم » .

وهذا أيضاً وصفهم فإن الوقاحة شعارهم ، والجرأة على الكرام وأهل الفضل والدين دثارهم .

فصل

ومن أجلهم قال النبى ﷺ : « لأن يربى أحدهم جرو كلب خير له من أن يربى ولداً لصلبه » .

قال الحاكم فى تاريخ نيسابور : أخبرنا عمرو بن إسحاق البخارى أخبرنا على بن أحمد الخوارزمى ثنا عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمى ثنا داود ابن عقال عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتى على الناس زمان لأن يربى أحدهم جرو كلب خير له من أن يربى ولداً لصلبه » .

وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر الغفارى عن النبى ﷺ قال : « إذا اقترب الزمان كثرت التجارة وكثر المال وعظم رب المال الحديث ، وفيه : يربى الرجل جرو كلب خير له من أن يربى ولدا » الحديث .

وذلك لأنه إن ربى ولداً فسوف لا يكون إلا مارقا إن تعلم فى المدارس الإفرنجية أو جاسوسا خائنا لله والمسلمين والوطن ، أو عسكرياً فى جيش الاستعمار

يحمل السلاح لنصرة الكفر ومحاربة الإيمان ، وخلاف هذا فنادر فى هذا الزمان .

فصل

وحتى الأشراف منهم يتبرأ منهم جدهم ﷺ ، فقد روى أحمد وأبو يعلى والحاكم من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا ما بال أقوام يزعمون أن رحمى لا تنفع والذى نفسى بيده إن رحمى لموصولة فى الدنيا والآخرة ألا وإنى فرطكم أيها الناس على الحوض ألا وسيجىء أقوام يوم القيامة فيقول القائل منهم : يارسول الله أنا فلان بن فلان ، فأقول أما النسب فقد عرفت ولكنكم ارتددتم بعدى ورجعتم القهقرى » .

فأخبر ﷺ أن رحمه تنفع فى الدنيا والآخرة ، ولكن هؤلاء المرتدين على أعقابهم بالمروق والإلحاد يتبرأ منهم صلى الله عليه وسلم فلا ينفعهم بشفاعته لأنهم ليسوا من أهلها .

فصل

وهم لايصلون ولا يصومون ، ومنهم من يزعم أن الصلاة غير واجبة لأنها إنما وجبت على الصحابة الذين كانوا بدواً عرباً ففرضت عليهم الصلاة لتروض نفوسهم وتهذب وتلين، فأما نحن فغير محتاجين إلى ذلك ومنهم يزعم أن الصلاة إنما فرضت لأجل الرياضة فالذى يستعمل الرياضة لاتجب عليه ، ومنهم من يرى الصلاة مرتين فى اليوم صباحاً ومساء، لمعنى الرياضة أيضا، وأكثرهم لايعللون ذلك بشىء ، بل يجحدون الصلاة ويسخرون ممن يصلى ويرون وجود المصلين وصمة وعاراً فى المجتمع ، ويبذلون الجهد لقطع أثرهم من الدنيا والقضاء على الدين بالكلية ، وفى هذه الأيام اجتمع طالب جزائرى مؤمن بجماعة منهم وهم من طلبة المغرب المراكشى بالقاهرة فقالوا له : إن الاسلام من رواسب التاريخ فيجب أن نقضى عليه ، ويجب أن يكون المثل الأعلى لنا هو أوربا ، فلما سمع هذا منهم تاب إلى الله من معرفتهم ، والذهاب إلى وكرهم لعنهم الله .

وكل هذا ورد فى السنة والإخبار به ، فروى ابن أبى الدنيا فى كتاب العزلة من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : « سيأتى على الناس زمان تمات فيه الصلوات ويشرف فيه البنيان ويكثر فيه الحلف والتلاعن ويفشو فيه الرشا والزنا وتباع الآخرة بالدنيا فإذا رأيت ذلك فالنجاء النجاء قيل وكيف النجاء ؟ قال كن حلساً من أحلاس بيتك وكف لسانك ويدك » .

وروى ابن وضاح فى البدع والحاكم فى المستدرك من حديث حذيفة رضى الله عنه قال : « أول ماتفقدون من دينكم الأمانة وآخر ماتفقدون الصلاة ولتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، ولتصلين نساؤهم حيضاً ، ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل لاتخطئون طريقهم ولا تخطئنكم وحتى تبقى فرقتان تقول إحداهما : ما بال الصلوات الخمس لقد ضل من كان قبلنا إنما قل الله : (أقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل) لايصلون إلا ثلاثاً » الحديث . قال الحاكم : صحيح الإسناد .

وروى الحاكم أيضاً من حديثه رضى الله عنه قال : « إنى لأعلم أهل دينين من أمة محمد ﷺ فى النار قوم يقولون إن كان أولنا ضلالا ما بال خمس الصلوات فى اليوم والليلة إنما هما صلاتان العصر والفجر » الحديث .

وقال أبو شعيب الحرانى فى فوائده : حدثنا مروان بن عبيد الرقى ثنا فضيل ابن عياض عن الأعمش عن خيثمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : يأتى على الناس زمان يحجون ويصلون ويصومون وما فيهم مؤمن .

وقال ابن وضاح : حدثنى أبو الطاهر عن بشر عن أم عبد الله بنت خالد حدثتنى أم عبد الله الجرشية قالت : ليأتين على الناس زمان يؤمنون بالله ولا يشركون به شيئاً ويصومون رمضان ويصلون الخمس ، وقد سلبوا دينهم لأنهم رأوا الحق فتركوه .

وهؤلاء صنف آخر يصلون ويصومون مجاراة لأهل الإسلام أو للبيئة التى نشأوا فيها ، ولكنهم لايرضخون لأوامر الشريعة فى كثير من المسائل

لأنهم يحكمون عقولهم الفاسدة ، وآراءهم المظلمة ، حسبما تشبعت به من التعاليم الإفرنجية الكافرة .

فصل

ومع ذلك يرون أنهم المؤمنون حقاً وأنهم أهل الإيمان الكامل وأنهم خير من المؤمنين أهل التقوى والصلاح والتمسك بما أمروا به فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وينسبونهم إلى الضلال وأنهم مبتدعة خوارج متأخرون يثبطون الهمم عن التقدم والرقى إلى المعالى ونيل الاستقلال . وكم خاطبونا بهذا وكتبوه عنا وعن أمثالنا فى جرائدهم ، وسمونا خوارج كما فعل لقيط منهم معروف أنه ليس ولد أبيه ، إذ نشر ذلك فى جريدة لهم تصدر بطنجة ونشر منبر زوايتنا وخطيبها والمصلين حوله يسخر من الإسلام والمسلمين ويسميهم الخوارج ، قلباً للأوضاع والحقائق ، كما أخبر عنهم النبى ﷺ ولم يعلم عن ولد الزنا أنه ذم يوماً اليهود والنصارى إخوانه ولا رسم كنيستهم يسخر منهم ، بل هو عبد مطيع خادم لهم لعنهم الله أجمعين . ونشر غيره فى جريدة لهم بتطوان يرد على من يتهمهم بترك الصلاة فقال : شاب وطنى غيور لا يصلى خير من ألف مسلم ليس بوطنى ، يريد الوطنية الكاذبة الملحدة الكافرة التى جهادها التفرنج والإلحاد والإنسلاخ من الدين ، والدعوة إلى المروق والفسوق والفجور وتبرج النساء وخروجهن كاسيات عاريات ، واختلاطهن بهم فى المحافل والأندية والتياترات التى هى مساجدهم ، وسلاحها الكذب والنفاق والتشدق فى الخطب والجرائد والمجلات والتمثيل ولعب الكورة وأنواع الملاهى مما قضوا به على الإسلام أو كادوا لعنهم الله ، وبهذا يزعمون أن المارق منهم خير من ألف مسلم وأن إيمانهم كإيمان الملائكة كما ورد فى حديث حذيفة رضى الله عنه أنهم يقولون : « إيماننا كإيمان الملائكة مافينا كافر ولا منافق حق على الله أن يحشرهم مع الدجال » رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

وإنما يحشرهم الله مع الدجال لأنهم أعوانه ومقدمته المرطدون له دعوته

والممهدون له ملكه ، وفى حديث الثلاث والسبعين فرقة أن ذلك الرجل الذى حدث نفسه أنه خير من الصحابة رضى الله عنهم قال فيه النبى ﷺ « هو قرن طلع من هؤلاء الذين هم شر أهل الأرض ويرون أنهم خير الناس كما قال الله تعالى فيهم : (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا . ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) .

وهذه الآية الكريمة مما نزل فيهم دون غيرهم وإن ظن كثير من أهل التفسير أنها نزلت فى الحرورية ، فإن الحرورية ما كفروا بالله جهاراً ولا اتخذوا آيات الله تعالى ورسله هزوا ، بل هم كانوا أشد الناس حرصاً على العمل بما ورد عن الله ورسوله ، حتى قال فيهم النبى ﷺ « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم . ومن أجل العمل بالقرآن قاموا فى زعمهم يحاربون الصحابة رضى الله عنهم . وإنما الذين اتخذوا آيات الله ورسله هزوا هم هؤلاء المارقون كما هو ظاهر من أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم وكتاباتهم فى الجرائد والمجلات والمؤلفات التى ملئوا بها الدنيا كفراً وإلحاداً وطعنا فى الدين واستهزاء بالقرآن والسنة .

فصل

وقد أخبر النبى ﷺ بفتنتهم وأمر بالتمسك بالأمر الأول الذى يسمونه رجعية بل أشار إلى نفس الكلمة وأمر بمخالفتهم فيما يقولون .

فروى الطبرانى فى الأوسط والكبير من حديث أبى واقد الليثى أن رسول الله ﷺ ذكر لأصحابه يوماً أنها ستكون فتنة فقالوا فكيف لنا يارسول الله وكيف نصنع ؟ قال « ترجعون إلى أمركم الأول » .

فأمر ﷺ بالرجوع إلى الأمر الأول ، وهو عين ماينهون عنه ويحاربونه ويسمونه رجعية لعنهم الله ، وقد قرأت مرة مقالا للملحد الأعمى - وما قرأت

ولله الحمد مقالا فى مجلة لا لملحد ولا لغيره إلا تلك المرة التى نبهت إليها وكان ذلك عند قيام الأزهر على على عبد الرازق فكتب زميله الأعمى ـ يقول أدركوا المدنية ، استيقظت الرجعية ، فى كلام كله أمر بالكفر ونهى عن الإيمان باسم الرجعية والتقدم والحضارة والمدنية وهى كلمة يتشدق بها جميعهم وفى حديث الفرق المتواتر عن النبى ﷺ الإخبار بأن تلك الفرق كلها فى النار إلا واحدة وهم المتمسكون بما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه الذى يسميه هؤلاء المارقون : رجعية بل ويقولون عن الإسلام من أصله إنه من رواسب التاريخ وإنه يجب القضاء عليه .

فصل

وبوجود هؤلاء وغلاة المقلدة صار الدين غريباً وعاد كما بدأ ، وصار القابض على دينه كالقابض على الجمر من كثرة ما يؤذى ويهان ويحارب ويخذل ويسب ويشتم ، بل ويضرب الآن بالمغرب ويقتل بيد زنادقة حزب الاستقلال ومن على شاكلتهم فى الكفر والمروق ، فصار المؤمن لذلك ذليلا مهاناً يمشى مختفياً كما كان يمشى الفاسق من قبل .

وكل هذا أخبر به سيد المرسلين ﷺ .

فروى ابن عساكر من حديث على عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ « يأتى على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من شاته » .

وقال أبو شعيب الحرانى فى فوائده حدثنا يحى بن عبد الله ثنا الأوزاعى ثنا حسان بن عطيه قال : قال رسول الله ﷺ : « سيظهر شرار أمتى على خيارهم حتى يستخفى فيهم المؤمن كما يستخفى فيكم المنافق اليوم » .

ورواه الديلمى فى مسند الفردوس موصولا من حديث جابر بن عبد الله من طريق ابن السنى قال : حدثنا أحمد بن عمر ثنا سعيد بن أبى زيتون ثنا الفريابى ثنا ابن ثوبان عن يحى بن أبى أنيسة عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتى على الناس زمان يستخفى المؤمن فيهم كما يستخفى المنافق فيكم اليوم »

وروى الطبرانى من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « إن من أعلام الساعة وأشراطها أن يكون المؤمن فى القبيلة أذل من النقد » والنقد بالتحريك الجنس الردىء من الغنم .

وروى نعيم بن حماد فى الفتن من حديثه أيضاً قال : « يأتى على الناس زمان المؤمن فيه أذل من الأمة ، أكيسهم الذى يروغ بدينه روغان الثعلب » .

وروى أحمد وأبو داود والترمذى وصححه ابن ماجة وجماعة من حديث أبى ثعلبة الخشنى أن رسول الله ﷺ قال : « مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فإن من ورائكم أياما الصابر فيهن كالقابض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون بعملكم » .

وروى أبو داود وأحمد واللفظ له حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل ، المتمسك بدينه كالقابض على الجمر ـ أو قال ـ الشوك » .

وقال الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول : حدثنا حوشب بن عبد الكريم البلخى ثنا حماد بن زيد عن أبان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « يكون فى آخر الزمان ديدان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهم الأنتنون ، ثم تظهر قلانس البرد فلا يستحيا يومئذ من الزنا ، والمتمسك يومئذ بدينه كالقابض على جمرة والمتمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين ، قالوا : منا أو منهم ؟ قال : « بل منكم » .

وقال أيضاً : حدثنا حميد بن على ثنا جعفر بن محمد الهمدانى ثنا أبو إسحاق الفزارى عن مغيرة عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ

« يأتى على الناس زمان المتمسك بسنتى عند اختلاف أمتى كالقابض على الجمر ».

وروى الطبرانى من حديث عتبة بن غزوان قال قال رسول الله ﷺ « إن من ورائكم أيام الصبر، المتمسك فيها يومئذ بمثل ما أنتم عليه له كأجر خمسين منكم ».

فقد ظهر مصداق هذا بوجود هؤلاء المارقين حتى صار المؤمن يمشى فيهم مختفياً لاسيما إذا كان ذاكراً الله تعالى أو حاملا لسبحة فى عنقه فلا تحصى والله الوقائع التى شاهدناها منهم. وشاهدها أصحابنا وما حصل منهم من الإذاية والإهانة ، ولا يزال حال المؤمن يزداد شدة معهم لعنة الله عليهم ، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا ويلهمنا الصبر ويحفظ علينا إيماننا وديننا ويعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن آمين .

فصل

ومع هذا الكفر والفسوق والإلحاد والمروق تجد لهم الحظوة عند العامة والمكانة عند الجمهور ، يحسنون الظن بهم ويرفعون من شأنهم ، مغضبين الله تعالى بذلك كما قال النبى ﷺ : « إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز لذلك العرش » رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الغيبة وأبو يعلى والبيهقى فى الشعب وأبو نعيم فى التاريخ وغيرهم من حديث أنس ، فلا يسمع المؤمن اليوم الثناء إلا على الملاحدة المارقين ولا يسمع لذكر عالم تقى أو صالح ولى ذكراً ولا ثناء ، بل بعكس ذلك يذكر بكل نقيصة وينسب لكل رذيلة وخيانة . وبذلك جاء الخبر عن النبى ﷺ .

فروى الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ أنه قال : « من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار » .

وفى صحيح البخارى ومسلم من حديث حذيفة رضى الله عنه الطويل فى أشراط الساعة وذهاب الأمانة وفيه « ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » .

ورواه ابن وضاح فى البدع مختصراً عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ عن رفع الأمانة قال « حتى يقال إن فى بنى فلان رجلا أميناً وحتى يقال للرجل ماأجلده وماأظرفه ومافى قلبه حبة خردل من إيمان » .

فهكذا نسمع دائماً الثناء على الملاحدة والفسقة وإطراءهم ونرى المقالات الطويلة فى مدحهم والمجالس تعمر بذكرهم، وأمس رأينا مقالا طويلا كتبته فاجرة مارقة تطرى فيه الملحد الأعمى عدو الله ورسوله ، بدون أى موجب لذلك إلا كفره وإلحاده فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فصل

ويستحلون الخمر وينكرون ورود نص فى القرآن بحرمتها زاعمين أنه لادليل إلا فى القرآن[1] وهم لعنهم الله كافرون بالقرآن وبالسنة ، وإنما يتمشدقون بذلك ويتخذونه دليلا لدى الإغمار والجلة، فإذا ماذكر لهم القرآن كفروا به جهاراً وادعوا أنه أنزل لتهذيب الأعراب الأجلاف. لاليكون حجة على أمثالهم فى رقيهم وحضارتهم وقد أخبر النبى ﷺ بهذا .

فروى البخارى فى صحيحه من حديث أبى عامر أو أبى مالك الأشعرى أن النبي ﷺ قال : « ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » وروى الطبرانى من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: « سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ومسخ »قيل ومتى ذلك يارسول الله؟ قال: إذاظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر وقد شافهنا كثير منهم بأن الخمر حلال بل قلت لبعضهم مرة فى الحديث الصحيح إن النبى ﷺ قال « من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها فى الآخرة » فقال: إذن نترك خمر الآخرة ونشرب خمر الدنيا.

ومنهم من يدعى التمسك بالإسلام فيستحل الخمر بتغيير اسمها ويشرب

---

(١) ولأجل دعواهم هذه ألف شقيقنا العلامة الغيور على الدين أبو الفضل السيد عبدالله الصديق رسالة سماها واضح البرهان على تحريم الخمر والحشيش من القرآن أبدع فيها كل الإبداع جزاه الله خيراً وهى مطبوعة متداولة .

النوع المسمى بالبيرة أو مربيسة ويقول : إنها ليست خمراً حتى ألف بعض الفسقة وشربة الخمر من المغاربة رسالة فى إباحتها على ما بلغنا .

وهذا أيضاً ما أخبر به النبى ﷺ فيما رواه الحسن بن سفيان فى مسنده قال : حدثنا عباس بن الوليد بن صبح حدثنا عبد السلام بن عبد القدوس ثنا ثور عن خالد عن أبى أمامة قال قال رسول الله ﷺ : « لا تذهب الأيام حتى تشرب طائفة من أمتى الخمر ويسمونها بغير اسمها » .

وروى الحاكم فى المستدرك من طريق عبد الله بن وهب فى مصنفه قال: أخبرنا عمرو ابن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن محمد عبد الله بن مسلم عن أبى مسلم الخولانى عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن ناساً من أمتى يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها » قال الحاكم: صحيح على شرط البخارى ومسلم .

فصل

ولعلمهم أن السنة النبوية مبينة للشريعة وأن فيها جميع ما يحتاج إليه فى الدين يطعنون فى صحة الأحاديث بعقلهم وهواهم لا بحجة ودليل، فقائل منهم يقول: لم يصح عن النبى ﷺ إلا أربعة أحاديث، وقائل يقول: إن الأحاديث اختلطت فلا يعرف صحيحها من سقيمها فلا يلزم العمل بشىء منها ، وقائل يقول : إن جميع الأحاديث التى فى صحيح البخارى كذب ، وقائل يقول إن الأحاديث ظنية وإنما القاطع هو القرآن ، فكل ما لم يرد فيه صريحاً فنحن لا نقول به .

وبهذا جاءت الأخبار عن رسول الله ﷺ أيضاً .

فروى الدارمى فى مسنده وأبو داود وابن ماجة وغيرهم من حديث المقدام بن معد يكرب قال قال رسول الله ﷺ : « ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » .

وروى الدارمى وأبو داود والترمذى من حديث أبى رافع أن رسول الله ﷺ قال : « لاألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدرى ؟ ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » والأحاديث فى هذا كثيرة حتى إنها أفردت بالتأليف ، وهم إنما يقولون ذلك لأنهم عبيد لهواهم وشهواتهم لايأتمرون بمعروف ولا ينتهون عن منكر كما وصفهم النبى ﷺ به فى الأحاديث المتعددة السابقة التى منها قوله ﷺ : « حتى إذا رأيت شحا مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك » .

وروى أبو داود من حديث معاوية عن النبى ﷺ قال : « إنه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله » .

ولما كانت الأحاديث النبوية فيها النص على مايحرم ويمنع كثيراً مما هم عليه . أنكروها من الأصل ليستريحوا من أمر العمل بها أو احتجاج من يحتج عليهم بها وبذلك ضموا كفر إنكار السنة وجحودها إلى كفر استحلال الفسوق واتباع إخوانهم اليهود والنصارى لعنهم الله أجمعين .

فصل

ومن تلاعبهم تمسكهم بالعروبة فى زعمهم ونصرهم اللغة العربية وبحثهم عن الدخيل منها وإبدال الكلمات الافرنجية بما يؤدى معناها من العربية ، وصرفهم الأموال فى ذلك، مع أنه لم يأمر الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك ولا قال أحد من أئمة الإسلام إنه لايجوز إدخال الكلمات الأجنبية فى اللغة العربية، ولا النطق بها إذا تداولت ولم يعرف لها بديل من العربية، وهذا كتاب الله تعالى فيه الدخيل مع جميع اللغات الأجنبية، وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينطق بكثير من الألفاظ الأجنبية أيضاً وكذلك سائر العرب كما هو معلوم .

فهم يخالفون العقل والنقل عن الله تعالى ورسوله ﷺ، والعرب والأمة بأجمعها فى هذا الأمر التافه ، ثم يتركون العروبة فى ملابسهم وهيئتهم وعوائدهم فى نفوسهم وبيوتهم وفراشهم ومآكلهم ومشربهم ونسائهم وأولادهم وخدمهم وجميع حركاتهم وسكناتهم ، بحيث لم يبقوا متمسكين بشعرة بل بذرة من العروبة واتباع للعرب فى شىء من أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم أصلا بل هم فى جميع ذلك إفرنج عجم محض، بحيث لو بعث العرب من مرقدهم لما شك واحد منهم أن هؤلاء لا يمتون إلى العروبة بصلة، وهذا دليل على منتهى سخافة عقولهم ، كما أخبر به النبى ﷺ من ذهاب العقول آخر الزمان كما سأذكره ، وعلى أنهم يحسنون القول ويسيئون العمل كما قال النبى ﷺ أيضاً .

قال أبو شعيب الحرانى فى فوائده : وجدت فى كتابى عن يحيى بن عبد الله ثنا الأوزاعى عن قتادة عن أنس وأبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال : « إنه سيكون فى أمتى اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيئون العمل ويقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه وهم شر الخلق والخليقة ورواه أبو داود والحاكم فى المستدرك كذلك من حديث أنس وأبى سعيد ورواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والحاكم من حديث أنس وحده .

وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا ظهر القول وخزن العمل واختلفت الألسن وتباغضت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم » .

وروى الطبرانى أيضا فى الكبير من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ : « من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القول ويحبس العمل » .

وهذا هو ما هم عليه بالحرف ، فالعمل هو العروبة حقاً وأقله الملابس والمظاهر والعوائد العربية لا يفكرون فى الرجوع إليه أصلا، وقد ورد أمر

النبي ﷺ بالتمسك به : والنص على تحريم التشبه بالكفار في كل شيء مع المبالغة في النهي والزجر عنه حتى جعل النبي ﷺ المتشبه بهم منهم فألحقه بهم وأخرجه من زمرة المسلمين ومن العرب والعروبة ، ثم جاءوا إلى كلمات أجنبية . استعملها العرب لا تؤثر في العروبة شيئا ، ولا ورد فيها عن الله ورسوله ﷺ نهي ، فقاموا يستعدون لإبدالها بكلمات عربية خوفاً على العروبة وضياعها فهذا منتهى العجب .

وهذا أيضا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم : « قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب » كما سبق .

ومن هذا القبيل انتسابهم إلى أجدادهم الكفار دون أسلافهم المؤمنين فهم اليوم يفتخرون بأنهم أبناء البربر ، وشرعوا يسمون أبناءهم بأسماء البربر المجوسية فراراً من أسماء الإسلام العربية وهكذا كان المارقون منهم بمصر يفتخرون بأنهم أبناء الفراعنة ، ويزعمون مع ذلك أنهم يحافظون على اللغة العربية .

وقد قال النبي ﷺ : « من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً وكرامة كان عاشرهم في النار » رواه أحمد والبخاري في التاريخ الكبير والنقاش في فوائد العراقيين وأبو نعيم في تاريخ أصبهان من حديث أبي ريحانة .

فصل

وتعلقهم باللغة العربية ليس حباً منهم في العرب والعروبة ، بل لأن العربية هي اللغة التي يتمشدقون بها في الخطب والمقالات والمؤلفات التي يأكلون بها ويعيشون على حسابها كما أخبر به النبي ﷺ أيضاً .

فروى سعيد بن منصور في سننه وأحمد في مسنده من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم يأكلون بألسنتهم كما تأكل البقر بألسنتها » فجل هؤلاء المارقين الظاهرين في الوقت ، إنما يأكلون بألسنتهم من دروسهم وخطبهم ومقالاتهم ومؤلفاتهم باسم الأدب واللغة العربية .

فصل

ومن ذلك تزوجهم بالإفرنجيات حباً في الفرنجة وبغضاً في العرب والعروبة

مع زعمهم المحافظة على العروبة بحفظ اللغة العربية وقد روى الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ترجعوا حرائين ، وحتى يعمد الرجل إلى النبطية فيتزوجها على معيشته ويترك بنت عمه لا ينظر إليها ، والنبط عجم العراق .

فصل

ومن صفتهم أنهم يؤثرون مايرون على مايعلمون ، فهم يرون عظمة الإفرنج وغناهم وخذلان الله تعالى لهم واستدراجه إياهم بتيسير الأمور وتسخيرها لهم ، فيؤثرون ذلك على مايعلمون بالضرورة من العقائد الإسلامية التي نشئوا عليها ، وأن الأمور بيد الله تعالى ، وأن الدين يحرم اتباع الكفار وتقليدهم والتشبه بهم والتعليق بأذيالهم والاعتماد عليهم ، وأنه بذلك يصل المرء إلى الغنى والسعة والراحة الدنيوية ، وقد ورد من حديث حذيفة رضي الله عنه: «أخوف ما أخاف على الناس اثنتان أن يؤثروا مايرون على مايعلمون وأن يضلوا وهم لا يشعرون ، رواه ابن وضاح ، وهذا والله هو الواقع اليوم ، فهم يؤثرون مايرون على ما يعلمون ويضلون بذلك وهم لا يشعرون .

فصل

ومما ظهر وشاع في هذا الزمان من مقالات الكفار التي روجها هؤلاء المارقون مقالة داروين في النشوء والإرتقاء ، وأن الإنسان أصله قرد ، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه المقالة وبطلانها في الحديث الصحيح المخرج في الصحيح عن النبي ﷺ قال: « إن الله خلق آدم على صورته » أي صورة آدم التي خلقه عليها ولم يخلقه في صورة القرد ثم بعد ذلك النشوء والتطور والارتقاء ، وصار إلى هذه الصورة الموجود عليها بنو آدم اليوم ، فهذا الحديث من أعظم معجزاته ﷺ وإن كثر فيه القال والقيل والخصام والنزاع الطويل بما لا يتسع لذكره المقام .

فصل

ومن ذلك إنكارهم ظهور المهدي وتكذيبهم الأحاديث الواردة فيه مع

صحتها واتفاق المسلمين على القول بها، وقد ظهرت فى السنين الأخيرة عدة مؤلفات فى إنكاره تقربا إلى الكفار المبشرين بالمسيحية. والقائمين بمحاربة الإسلام، لأنهم يرغبون فى ذلك لفائدة التبشير ببث اليأس وقطع الأمل من نفوس المسلمين وإماتة ما يبعث فيهم روح الأمل وانتظار نصرة الإسلام حتى تنصرف النفوس عنه، وتقبل على الدخول فى المسيحية كما صرح به المبشرون أنفسهم فى كتبهم ومؤتمراتهم، وقد ورد «لا يخرج المهدى حتى يقال لا مهدى» ويتعلق بعضهم بحديث «لا مهدى إلا عيسى» وهو حديث كذب موضوع لا أصل له عن النبى ﷺ كما نص عليه الحفاظ وبينا ذلك من طرق فى كتابنا إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون، أو المرشد المبدى لفساد طعن ابن خلدون فى أحاديث المهدى وهو مطبوع، على أنهم ينكرون أيضا نزول عيسى عليه السلام لهذه الغاية، وقد كتب بعضهم مقالات فى ذلك وكنا شرعنا فى إلجامه والقامه بكتاب أسميناه بالنبوت على عريض قفا شلتوت، ثم لما رأينا شقيقنا العلامة السيد عبدالله الصديق رد عليه بالمؤلفين الجليلين إقامة البرهان، وعقيدة أهل الاسلام اكتفينا بهما، لأنه لا مزيد عليهما، وهما مطبوعان نفع الله بهما آمين .

فصل

وقد ترك الناس ذكر الدجال فى وعظهم وخطبهم فلا أذكر أنى سمعت خطيبا يذكره ولا واعظا يحذر منه ولا مدرسا يشير إليه وإلى ما ورد فيه وفى فتنته، وإنما سمعت من ينكر وجوده أيضا، وقد ورد الإخبار بهذا عن النبى ﷺ .

فروى الإمام أحمد من حديث الصعب بن جثامة قال: قال رسول الله ﷺ «لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر».

فصل

وقد نبذت الدولة التركية أواخر أيام إسلامها الحكم بالفقه الإسلامى المأخوذ من الشريعة، أو من القواعد المنسوبة إليها على الأقل، وصارت تحكم بالقانون المأخوذ عن الأنجاس الأرجاس الذين قال الله فيهم (إن هم إلا

كالأنعام بل هم أضل) واتخذت ذلك فى بلادها والبلاد التى كانت تحت حكمها ومنها الديار المصرية فإنها أول من أسست المحاكم الأهلية فكفرت بذلك كفراً صراحا فى حال ادعائها الإسلام وحماية حماه، ووجود الخلافة الإسلامية، فيها، قبل أن تعلن الكفر والانسلاخ من الإسلام، وقد أخبر النبى ﷺ بذلك وبأنها أول من ينقض عرى الإسلام.

فروى الإمام أحمد والطبرانى من حديث أبى إمامة الباهلى عن رسول الله ﷺ قال: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة» على أن المحاكم التى تحكم برأى الناس المخالف لدين الله تعالى وكتابه كمحاكم المالكية بالمغرب والحنفية بالمشرق داخلة فى هذا الحديث أيضاً، فإنها بعيدة من حكم الله بعد السماء من الأرض إلا أنها فى اعتقادهم أنها من الدين، بخلاف القانون فإنهم يعرفون أنه من آراء الكفار الأنجاس لعنهم الله.

فصل

ومما ظهر فى وقتنا هذا التماس العلم عند الملاحدة واتخاذهم مدرسين ومعلمين فى المعاهد والمدارس بل وتوليتهم المناصب العالية فى ذلك، وهذا وإن كان داخلا فى الحديث المخرج فى الصحيح «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» والحديث الذى رواه نعيم بن حماد فى الفتن من مرسل كثير بن مرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أشراط الساعة أن يملك من ليس أهلا أن يملك ويرفع الوضيع ويتضع الرفيع» ونحو هذا من الأحاديث الكثيرة.

إلا أنه ورد ما يخص هذا وينص عليه، فقد روى الطبرانى وابن عبد البر فى العلم من طريق بكر بن سوادة عن أبى أمية الجمحى قال: سئل رسول الله ﷺ عن أشراط الساعة فقال «إن من أشراطها أن يلتمس العلم عند الأصاغر» قال السلف: والمراد بالأصاغر أهل البدعة، يعنى الأصاغر فى الدين، بدليل أن العلم فى زمن الصحابة والتابعين كان يؤخذ عن الأصاغر فى السن، وربما بأمر

النبي ﷺ ويؤيد هذا حديث أنس بن مالك قال : قيل يارسول الله . متى ندع الائتمار بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ قال « إذا ظهر فيكم ماظهر فى الأمم قبلكم المالك فى صغاركم والعلم فى أراذلكم والفاحشة فى كباركم » رواه ابن عبد البر فى العلم فصرح ﷺ فى هذا الحديث بأن من أشراط الساعة وجود العلم عند الأراذل الذين أراد بهم الأصاغر فى الحديث الأول ، ولا أرذل من الملاحدة الفجار المارقين الذين يؤخذ عن كثير منهم العلم ، بل جل من يؤخذ عنه العلم اليوم من هذا القبيل .

فصـــل

وكذلك ذهاب العقول وخفة الأحلام فلا تكاد ترى اليوم عاقلا تام العقل راجحه فى مشارق الأرض ومغاربها ، والقضايا الدالة على ذلك لاتنحصر والإفاضة فيه مما يطول ويمل ، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك وهو من أعجب ماشهدناه من معجزاته .

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من علامات البلاء وأشراط الساعة أن تعزب العقول وتذهب الأحلام ويكثر القتل وترفع علامات الخير وتظهر الفتن » رواه الطبرانى ، ورواه نعيم بن حماد فى الفتن من مرسل كثير بن مرة مرسلا مثله إلا أنه قال « وترفع علامات الحق ويظهر الظلم » ورواه أيضاً من حديث أبى ثعلبة الخشنى ولفظه « إن من أشراط الساعة أن تنتقص العقول وتعزب الأحلام ويكثر الهم » ورواه أيضاً من حديث حذيفة بن اليمان قال « تكون فتنة تعوج فيها عقول الرجال حتى ماتكاد ترى رجلا عاقلا » ورواه أيضاً من حديثه أيضاً قال « يأتى على الناس زمان يصبح الرجل بصيراً ويمسى مايبصر شعرة » يعنى لفقده رشده وذهاب عقله .

وروى أحمد وابن ماجه والطبرانى والحاكم من حديث أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « أخاف عليكم الهرج » قالوا وما الهرج يارسول الله ؟ قال : « القتل » قالوا : وأكثر مما يقتل اليوم إنا نقتل فى اليوم من المشركين كذا وكذا ؟ فقال النبي ﷺ « ليس قتل المشركين ولكن قتل بعضكم بعضاً » قالوا : وفينا كتاب الله ؟ قال « وفيكم كتاب الله عز وجل » قالوا : ومعنا عقولنا ؟ قال « إنه

ينتزع عقول عامة ذلك الزمان ويخلف هباء من الناس يحسبون أنهم على شيء وليسوا على شيء » لفظ الحاكم ، ولفظ ابن ماجة « ولكن يقتل بعضكم بعضاً حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته، فقال بعض القوم: يا رسول الله ومعنا عقولنا ذلك اليوم فقال رسول الله ﷺ : « تنتزع عقول أكثر ذلك الزمان » الحديث .

وهذا حال المغرب اليوم ففي كل يوم قتل للأبرياء بدون موجب ولا سبب أما العقل فلا وجود له عند أكثرهم ، وكيف يوجد عند من شاهد شخصاً راكباً على فرس هو وأولاده في القمر وهو يأمرهم وينهاهم ويقول لهم اصبروا ونحو ذلك من الكذب ، بل الكفر الذي اتفق عليه عامتهم رجال ونساء شيوخاً وشباباً ومن عارض في ذلك حكموا بخيانته فلا حول ولا قوة إلا بالله .

فصل

ومما ظهر وكثر في هذا الوقت : الخسف والزلازل فلا تكاد تمضي أيام دون أن يسمع زلزال بل زلازل في أقطار متعددة بالمشرق والمغرب وقد أخبر النبي ﷺ بذلك في أحاديث بلغت حد التواتر وأن هذه الأمة سيقع فيها الخسف والمسخ والزلازل وأن ذلك من أشراط الساعة ، وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أن رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل » الحديث .

وقد ورد أن سبب كثرة الزلازل في الأرض هو الربا وكثرة المعاملة به وأكله وقد قدمنا إخبار النبي ﷺ بكثرته أيضاً في آخر الزمان بسبب وجود البنوك المتعاملة بالربا ولا يكاد يوجد في الدنيا درهم إلا من طريقها وبذلك انتشر الربا وكثر الفساد في الأرض ، نسأل الله السلامة .

فصل

ومن ذلك كثرة المال حتى صار الرجل الواحد يملك مئات الملايين ، وقد كان المغرب كله لا يوجد به من يملك مائة ألف ريال إلا أفراداً معدودين

فأصبح فيه المئات من يملك الملايين ، وقد وردت الأحاديث الكثيرة بذلك،

فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة الطويل فى أشراط الساعة وفيه قال : « وحتى يكثر فيكم المال فيفيض » .

وفى صحيح البخارى أيضاً من حديث عوف بن مالك قال : أتيت النبى ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبة من أدم فقال : « أعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كعقاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً » الحديث .

وفى مستدرك الحاكم وقال صحيح الإسناد ومعجم الطبرانى الكبير من حديث أبى أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يزداد الأمر إلا شدة ولا المال إلا إفاضة ولا تقوم الساعة إلا على شرار من خلقه » لفظ الحاكم ولفظ الطبرانى « لا يزداد الأمر إلا شدة ولا يزداد المال إلا إفاضة ولا يزداد الناس إلا شحاً ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » .

وفى مسند أحمد ومعجم الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : دخلت على النبى ﷺ وهو يتوضأ وضوءاً مكيناً فرفع رأسه فنظر إلى فقال « ست فيكم أيتها الأمة موت نبيكم صلى الله عليه وسلم فكأنما انتزع قلبى من مكانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة ، ويفيض المال فيكم حتى إن الرجل يعطى عشرة آلاف درهم فيظل يتسخطها » الحديث وعندهما أيضاً من حديث معاذ بن جبل نحوه ، وفيه « وإن يعطى الرجل ألف دينار فيسخطها » الحديث .

وعند الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا اقترب الزمان كثرت التجارة وكثر المال وعظم رب المال وكثرت الفاحشة » الحديث ، والأحاديث فى هذا كثيرة .

فصـــل

ومما ظهر أيضا الكفار المستشرقون الذين يتقنون اللغة العربية يتعلمون علوم الإسلام من قراءات، وتفسير وحديث وفقه وغيرها ليعرفوا كيف يحاربون الدين

من طريقه ، ويجادلون الجهلة ومن يحسون منه ضعفاً في العلم ، ويلقون عليه الشبه التي لا يهتدي لحلها ، وقد أشار إليهم النبي ﷺ فيما رواه الحاكم ، وقال صحيح على شرط الشيخين والطبراني من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «سيأتي على أمتي زمان يكثر فيه القراء ويقل فيه الفقهاء ويقبض العلم ويكثر الهرج ثم يأتي من بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتي لا يجاوز تراقيهم ، ثم يأتي من بعد ذلك زمان يجادل المشرك بالله المؤمن في مثل ما يقول» يعني في القرآن والحديث والتوحيد والتصوف ، وهو الواقع اليوم من هؤلاء المستشرقين المبشرين لعنهم الله .

فصل

ومن عظيم قدرة الله تعالى عجيب صنعه وباهر آياته وحكمته ومعجزات رسوله ﷺ أن هؤلاء المستشرقين مع عداوتهم للاسلام وشدة بحثهم عن الطرق الموصلة إلى القضاء عليه وإفساده ، واتفاق الدول الكافرة على ذلك ، وإنفاقهم الأموال الباهظة عليه ، وتقدمهم للحروب واحتلال البلاد الإسلامية لأجل هذه الغاية ثم مع كل هذا يخدمون الإسلام بطبع كتبه الدينية النفيسة القيمة الممتعة ، من كتب الحديث والقراءات والتفسير والسيرة النبوية والتصوف وتاريخ الإسلام وتراجم عظماء رجاله ، وغير ذلك من العلوم الإسلامية النافعة ، ولا يطبعون منها إلا النادر الغريب الذي فقد ويعد من المعدوم ، مع الإتقان التام في الطبع والتصحيح وجودة الورق ووضع الفهارس المتقنة المسهلة للكشف فيها ، والميسرة للوقوف على ما يراد منها بحيث لا يعدل عن الكتاب الذي طبعوه إلى طبعة غيرهم من المسلمين ، وقد أحصى بعضهم ما طبعوه من كتب الإسلام فبلغت نحو ألف ومائتي كتاب تقريباً منها ما هو في عدة مجلدات ، ومنها ما هو في مجلد ، وأعجب من ذلك أن عدوهم الأكبر هو القرآن العظيم ، ثم مكة المكرمة التي هي محل اجتماع المسلمين كل عام فحولها يدندنون وعلى القضاء عليهما بكل وسيلة يسعون . ومع ذلك تجدهم يطبعون المصحف الكريم طبعاً متقناً تصحيحاً وورقاً وتجليداً بحيث لا يوجد الآن مصحف مطبوع ببلاد الإسلام بتلك الصورة المتقنة إلا طبعة واحد بالآستانة

وكذلك طبعوا تواريخ مكة المكرمة التى تطبع ببلاد الإسلام إلا على طبعتهم وبعد طبعهم إياها، بما يزيد على الخمسين سنة ثم هم الذين يسهلون المسلمين طريق الحج والسفر إليه بحراً وبراً وجواً ويبذلون جهدهم فى ذلك حتى فى أيام الحرب وانقطاع السبل، بحيث لولا تسهيلاتهم وإحضارهم البواخر والسيارات والطائرات لما حج فى هذه السنين أحد ، لاسيما من الأقطار البعيدة ، ثم يأتى فى الدرجة الثانية لعدائهم ومحاربتهم رجال التصوف، وشيوخ الطرق فهم عدوهم الوحيد ، بعد القرآن ومكة المكرمة . لأنهم لايرون انتشار الإسلام فى سائر البلاد إلا من طريقهم ولا بقاءه إلا بهم ، كما هو مذكور فى كتاب الغارة على العالم الإسلامى، ومع ذلك فهم أشد الناس خدمة للصوفية وتعظيما لهم. واحتراما لأضرحة الأولياء وإقامة الموالد التى تقام لهم كل سنة . حتى إنهم هم الذين ينفقون عليهم فى بعض الأحيان، ويشجعون القبائل على إقامتها بحضور الرؤساء منهم، وغير ذلك مع ما فيه من المظاهر الإسلامية، والتآلف والاجتماع والتعارف الذى يحصل بينهم بسببها، وهو الذى يحاربونه بمكة ، ويسعون فى القضاء عليه . والمقصود أن أعمالهم هذه وغيرها ، فيها أعظم تأييد للدين فى حال إرادتهم القضاء عليه ، ومن ذلك طبعهم كتب التوحيد الذى هو ضد شركهم وتثليثهم وقد طبعوا أخيراً أشهر كتاب فى التوحيد وهو الإرشاد لإمام الحرمين: ومن أعظم خدمتهم الدين وضعهم لمفتاح كتب السنة المطبوعة المتداولة لموطأ مالك ومسند الطيالسى ومسند أحمد ومسند الدارمى وصحيح البخارى وصحيح مسلم وسنن أبى داود وسنن الترمذى وسنن النسائى وسنن ابن ماجة ومسند الإمام زيد ، وطبقات ابن سعد ، ومغازى الواقدى، وسيرة ابن هشام وترتيبهم أحاديثها فى الأبواب المرتبة على الحروف، مما سهلوا به الانتفاع بهذه الكتب على المسلمين . ثم وضعهم فهرساً آخر لهذه الكتب أعظم نفعاً للعلماء من الفهرس الأول ، وهو ترتيب الكلمات النبوية الواردة فى هذه الكتب على ترتيب كتب اللغة، بحيث يمكن للباحث عن الحديث النبوية أن يقف عليه فى جميع هذه الكتب فى دقيقة واحدة. وهذه خدمة جليلة

لم يوفق لها المسلمون أنفسهم ، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك .

فروى الطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ليؤيد الإسلام برجال ماهم من أهله » .

وروى ابن حبان فى صحيحه والدولابى فى الكنى وأبو نعيم فى الحلية من حديث أنس ، وأحمد والطبرانى من حديث أبى بكرة كلاهما عن النبى ﷺ قال : « إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم فى الآخرة » يعنى لا نصيب لهم فيها وهم الكفار

فصل

ومما ظهر الآن بين الناس التنافر والتناكر ، فلا يكاد أحد يعرف أحداً بإخلاص ولا يواصل أحد أحداً ، وتلقى الرجل كانت لك به معرفة بل وصداقة متينة فلا يكلمك أو يقرؤك السلام ، وربما تجاهلك واختفى منك ورجع فى طريقه إذا رآك مقبلا ، فكأن الناس فى محشر ينادى كل واحد : نفسى نفسى ، وهذا ما أخبر به النبى ﷺ فى هذا الزمان .

فروى أحمد فى مسنده بسند صحيح من حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال : « علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ولكن أخبرك بمشاريطها ومايكون بين يديها ، أن بين يديها فتنة وهرجا قالوا يارسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج ؟ قال : بلسان الحبشة القتل ، قال ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحداً » ورواه الطبرانى وابن مردويه من حديث أبى موسى الأشعرى مثله . وزاد « وتجف قلوب الناس وتلقى رجرجة لاتعرف معروفاً ولاتنكر منكرا » .

فصل

ومن ذلك فساد الأخلاق وضعف الإيمان ، بل ذهابه من النفوس بحب الدنيا وحب المصلحة الذاتية والسعى إليها ، ولو بهلاك المؤمن القريب والبعيد مع النفاق والاستهانة بأمور الدين وغير ذلك مما تراه فى الناس ، مع انتسابهم إلى الإسلام ظاهرا بأقوالهم وأعمالهم وملابسهم ، وبذلك أخبرنا رسول الله ﷺ

فروى الحاكم فى التاريخ من حديث عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « سيأتى على الناس زمان ما يبقى من القرآن إلا رسمه ولا من الإسلام إلا إسمه ، يتسمون به وهم أبعد الناس منه مساجدهم عامرة وهى خراب من الهدى فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود » وروى الديلمى من حديث ابن عمر أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ « سيأتى على الناس زمان يصلى فى المسجد منهم ألف رجل أو زيادة لا يكون فيهم مؤمن » وروى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية من حديثه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « يؤذن المؤذن ويقيم الصلاة قوم وما هم بمؤمنين » وروى الحاكم فى المستدرك من حديث سفيان عن الأعمش عن خيثمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال « يأتى على الناس زمان يجتمعون فى المساجد ليس فيهم مؤمن » ورواه أبو شعيب الحرانى فى فوائده من طريق الفضيل بن عياض عن الأعمش بسنده فقال « يأتى على الناس زمان يحجون ويصلون ويصومون وما فيهم مؤمن » .

وروى أحمد فى مسنده من حديث جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الناس دخلوا فى دين الله أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً » .

فصـــل

ومن ذلك الجاسوسية وخيانة الله ورسوله والإسلام والمسلمين والوطن وبيع الدين والمروءة والإنسانية بها ، وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً يمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا » .

وروى أحمد والطبرانى من حديث الضحاك بن قيس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن بين يدى الساعة فتناً كقطع الليل المظلم فتن كقطع الدخان يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع أقوام أخلاقهم ودينهم بعرض من الدنيا » ، ورويا أيضاً من حديث النعمان بن بشير نحوه وورد ، من حديث جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وأنس بن مالك عند الحاكم وغيره .

وقال ابن فيل فى جزئه : حدثنا محمد بن عمرو بن العباس الباهلى ثنا غسان ابن صقر السلمى ثنا سعيد بن يزيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ «بين يدى الساعة فتن كقطيع الليل المظلم يصبح الرجل مهدياً ويمسى ضالا ، ويمسى مهتدياً ويصبح ضالا ، يصيب فيها أقوام عرضا من الدنيا يحسبون أنها تحل لهم وإنما هى من جهنم» .

وروى الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث معاذ بن جبل فى آخر حديث عوف بن مالك قال «خمس أظلتكم من أدرك منهن شيئاً ثم استطاع أن يموت فليمت، أن يظهر التلاعن على المنابر، ويعطى مال الله على الكذب والبهتان وتسفك الدماء ، بغير حق وتقطع الأرحام ويصبح العبد لا يدرى أضال هو أم مهتد» .

فقوله: «ويعطى مال الله على الكذب والبهتان» هو ما تعطيه الحكومات من بيت مال المسلمين، بل ومن مال الأوقاف التى أوقفوها لإقامة شرائع الدين فأصبح يعطى منها للجواسيس الخونة ليأتوا بالكذب والبهتان، فإنهم كالشياطين لا يأتون بكلمة صدق حتى يأتوا بمائة كذبة بل أكثر ولاسيما بالمغرب المراكشى، فإنه ما خلق الله أخس من جواسيسه ولا أخبث ولا أغش ولا أضل ولا أعدى للإسلام والمسلمين منهم، ومع ذلك كانت الحكومتان المستعمرتان لعنهما الله تنفقان عليهم الأموال الطائلة من بيت مال المسلمين وأوقافهم على ذلك الكذب والبهتان الذى يقصدون به إذاية جواسيسهم ويلصقونه بالأبرياء ، فكانوا لعنهم الله خونة لدينهم وأمتهم وللحكومات المستعمرة أيضا، لأنهم يوقعونها فى الشر وزيادة الظلم وإلقاء البغض فى قلوب الناس لما يرون من ظلمها للأبرياء اعتمادا على كذبهم وبهتانهم، حدثنى بعض الأصدقاء أنه ذهب إلى بعض حكام الاسبان فى مشكلة أوقعه فيها الجواسيس وكان له بذلك الحاكم صداقة، فقال له وهو يكلمه فى كذبهم إن هؤلاء الجواسيس فى الحقيقة أعداء لحكومتنا أيضا، لأنهم يسعون فى إذايتنا جميعاً ، ولكننا مجبورون على سماع كلامهم، وأقول: قد برع الاستعمار على أن أسقط أمة على وجه الأرض ثم المراكشيين، فإن الخساسة والخيانة التى ظهرت فيهم لم تظهر فى أمة من الأمم، وذلك بتسلط رؤسائهم للإضلال والدناءة والخيانة التى

وصلوا إليها فى التقرب من الاستعمار تجل عنه الشيطانية ولا يرضاها لنفسه شيطان وتأباها كرامته، فضلا عن إنسان ولذلك سقطوا من عين الدول المستعمرة ، لأنهم رأوا منهم مالم يكن يخطر لهم ببال أن يصل نوع البشر إليه ، أو تسمح الإنسانية لنفسها به ، بل الأمر فوق هذا بمراحل ، بحيث يعجز اللسان عن التعبير عن حقيقة ماوصلوا إليه فى هذا من السقوط وفساد الأخلاق ، وذلك أن بعض أصدقائنا زار الجنرال كباص الأسبانى فقال له أثناء كلامه معه : هل لا زالتم تعتقدون ظهور المهدى وتنتظرونه لنصرتكم ؟ قال : نعم ، فقال له : الحقيقة أنه لامهدى ، ولكن إذا كان المهدى حقاً فسوف نكون نحن رجاله وأنصاره ، أما أنتم فقد سقطتم عن درجة الاعتبار وفيكم من فساد الأخلاق مالا يؤهلكم لأن تكونوا مع رجل مصلح كالمهدى المنتظر ، فانظر إلى هذا واعتبر ، ولو سمح المقام بالتوسع فى هذا الباب لسمعت ما تنحل به حبوتك ويسقط لعابك عجباً واندهاشاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون

فصـــل

ومن ذلك البوليس وخدمة الاستعمار الكافر بالسلاح والقتال معهم لنصرتهم على الإسلام والوطن وقد أخبر بهم .

فروى ابن عساكر فى التاريخ من حديث رجل من الصحابة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليت شعرى كيف أمتى بعدى ، حتى تتبختر رجالهم وتمرح نساؤهم وليت شعرى كيف هم حين يصيرون صفين صفاً ناصبى نحورهم فى سبيل الله ، وصفاً عمالا لغير الله » .

فهكذا والله صار حال أمته ﷺ فكانوا ولا زالوا فى حروب الاستعمار صفين ، صفاً ناصباً نحره يقاتل فى سبيل الله ، وفى مقابله صف آخر يحاربون عمالا وأجراء لغير الله ، للكفر والاستعمار لعنهم الله .

قال نعيم بن حماد فى الفتن : حدثنا ابن وهب عن الحارث بن نبهان عن محمد بن سعيد عن عبادة بن نسى عن الأسود بن ثعلبة عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ظهر فيكم السكرتان سكرة الجهل

وسكرة حب العيش ، وجاهدوا فى غير سبيل الله فالقائمون يومئذ بكتاب الله سراً وعلانية كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار » .

وهذا الحديث الشريف أعجب من الذى قبله وأصرح فى الموضوع ، فهو ينص على السبب الحامل لهم على الدخول فى ذلك وهو سكرتان كما قال النبى ﷺ ولا نقول سببان .

السكرة الأولى الجهل فإن أكثر من يدخل مع المستعمرين فى البوليس جهلة البربر وسكان البوادى الهمج الرعاع الذين هم إلى الوحشية الصرفة أقرب بكثير منهم إلى الإنسانية ، بل هم وحوش فى صورة أناسى ، ولولا النطق لربطوا فى مرابط الذئاب والكلاب ، وقد أنطق الله بعضهم بهذا إذ قابلته فى بعض شوارع دمشق أيام حرب فرنسا للدروز فقلت له ما أقدم بك إلى الشام؟ قال جئت لحرب الدروز ، فقلت له : فماذا يصنع معكم الدروز ؟ تغلبونهم أم يغلبونكم ؟ فقال : آه نحن المروك كالخنازير فكيف يغلبوننا ؟ فقلت فى نفسى : صدقت والله أنتم خنازير .

والسكرة الثانية حب العيش فإن الواحد منهم يبقى متسكعاً لا يجد ما يأكل ويرى فى خدمة البوليس الكسوة والطعام والمال فيبادر إلى الدخول فيها غير ناظر إلى عاقبة أمرها فإذا صادفه حرب ذهب وهو خائن لدينه ودنياه فى مقابلة ذلك العيش البسيط الدنىء ، وإذا لم يصادفه حرب عاش خاسراً للدين والإنسانية خائناً لله ولدينه ووطنه وأمته .

وهذا الحديث الشريف ينبغى لأهل الإيمان العاملين بالكتاب والسنة القائمين بهما ضد الجهل والتقليد المضل الأعمى ، أن يكتبوه بسواد عيونهم على صفحات قلوبهم ، لأن فيه بشارة عظمى لهم . والحمد لله على فضله ومنته .

وروى الحاكم فى المستدرك من حديث ثوبان رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن ربى زوى لى الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطانى الكنزين الأحمر والأبيض وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة عامة فأعطانيها ، فسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها ، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها . وقال : يا محمد إنى إذا

قضيت قضاء لم يرد إنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة عامة ولا أظهر عليهم عدواً من غيرهم فيستبيحهم بعامة ولو اجتمع من بأقطارها حتى يكون بعضهم هو يهلك بعضاً وبعضهم هو يسبي بعضا ، وإنى لا أخاف على أمتى إلا الأئمة والمضلين ولن تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان وإذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ، وأنه قال : كل مايوجد فى مائة سنة .

ورواه أحمد من حديث شداد بن أوس مثله ، إلى قوله « حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً وبعضهم يسبي بعضا إنى لا أخاف على أمتى إلا الأئمة المضلين إذا وضع السيف فى أمتى فلا يرفع عنهم إلى يوم القيامة » .

وفى مستدرك الحاكم من حديث عبد الله بن مسعود فى الفتنة قلت يارسول الله : ومتى ذلك ؟ قال « ذلك أيام الهرج حين لا يأمن الرجل جليسه » الحديث ، وهو وقتنا هذا الذى لا يأمن الرجل جليسه بالمغرب لكثرة ما به من الجواسيس .

فصـــل

ومن ذلك قلة الأخ الصادق كما يشاهده كل واحد ، وقد روى أبو نعيم فى الحلية من طريق محمد بن أيوب الرقى عن ميمون بن مهران عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « قلما يوجد فى آخر الزمان درهم حلال أو أخ يوثق به » .

وروى الطبرانى من طريق سفيان عن منصور عن ربعى عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « سيأتى عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاثة : أخ يستأنس به أو درهم حلال أو سنة يعمل بها » فقد عز الأخ الصادق بإلقاء الشح فى النفوس وحب الذات والمنفعة الشخصية ، وعز الدرهم الحلال بسبب البنوك ومعاملتها بالربا ، وعن العمل بالسنة بسبب التقليد وطاعة رأى الناس وتقديمه على سنة رسول الله ﷺ حتى إن من يعمل سنة لا يعملها إلا على رأى فلان ومذهب علان ، لا على أنه طائع فيها أمر رسول الله ﷺ .

فصـــل

ومن أوصاف الناس اليوم ما أخبر به النبي ﷺ فيما أخرجه الحافظ أسلم وابن سهل الواسطى أحد شيوخ الطبرانى الملقب بيحشل فى تاريخ واسط حيث قال : حدثنا سهل ابن سعيد بن عبد الرحمن أبو الفضل الزجلانى حدثنا أبو سهل الحصاص واسمه زياد قال لقيت أنس بن مالك فقلت : يا أبا حمزة حدثنى حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يأتى على الناس زمان هم الذئاب ، فمن لم يكن ذئباً أكلته الذئاب » ورواه أيضاً الطبرانى فى الأوسط فالناس كما ترى اليوم ذئاب لا يعيش فيهم ويسلم منهم إلا من كان ذئباً مثلهم يعرف طرق مكرهم ونفاقهم واحتيالهم وإلا أكلوه .

فصـــل

وهم أيضاً كما قال عبدان فى كتاب الصحابة : حدثنا أحمد بن سيار ثنا حرملة ابن يحيى ثنا ابن وهب قال أخبرنى لهيعة وعمرو بن الحارث عن بكر بن سوادة أن موسى بن الأشعث حدثه أن الوليد حدثه أنه انطلق هو وأبيض رجل من أصحاب النبى ﷺ إلى رجل يعودانه ، قال : فدخلنا المسجد فرأينا الناس يصلون فقلت : الحمد لله الذى جمع بالإسلام الأحمر والأسود فقال أبيض : والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى لا تبقى ملة إلا ولها منكم نصيب ، قلت يبادرون يخرجون من الإسلام ؟ قال يصلون بصلاتكم ويجالسون مجالسكم وهم معكم فى سوادكم ولكل ملة منهم نصيب ، قلت : أى والله لكل ملة منهم نصيب إلا الإسلام فلا نصيب له منهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم .

فصـــل

ومن ذلك أنهم لا يبالون ماذهب من دينهم إذا حفظت عليهم دنياهم وأنهم يرتكبون كل محرم وكل منقصة لينالوا الدينار والدرهم . فما تعارض دين ومصلحة دنيوية ؛ بل وهم الحصول عليها وظنه لا تحققه ، إلا تركوا الدين لأجل ذلك الوهم والظن الذى لا يتحقق ، فيخسرون الدين والدنيا معا . وقد اجتمع مرة علماء تطوان بما فيهم شيخهم البالغ من العمر فوق التسعين — وأهل

بلده يكادون ينبذونه — وذلك فى دار دعاهم إليها الحاكم الأسبانى قبل أذان العصر، فجلسوا معه إلى أذان المغرب، وما صلى العصر منهم أحد مع علمهم بما ورد من التشديد فى إضاعة صلاة العصر على الخصوص، وأن النبى ﷺ قال: « الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله » رواه مالك والبخارى ومسلم وكذلك قال ﷺ: « من ترك صلاة العصر حبط عمله » رواه البخارى، ولو كانوا مؤمنين بالله لاستدللنا عليهم بقول الله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فقد تواتر عن رسول الله ﷺ أن الصلاة الوسطى صلاة العصر ولكن من يقدمون رأيه على كلام الله تعالى ورسوله ﷺ قال لهم: إن الصلاة الوسطى هى صلاة الصبح، فلا فائدة بعد هذا فى ذكر كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ إلا تعريضه للكفر به ورده على قائله لأن القرآن قرآن والسنة سنة مالم تتعارض مع رأى معبود لهم: وإلا فالقول ماقاله ذلك المعبود ولو عارضته الكتب السماوية كلها.

وكذلك دعاهم هذا الحاكم نفسه مرة إلى قبيلة تبعد عن تطوان بمسافة نصف يوم على السيارات، واختار لدعوته يوم الجمعة، وكان لعنه الله يقصد ذلك لاختبار المسلمين وإفساد دينهم عليهم فذهبوا وفى مقدمتهم شيخهم المعمر المعتقد المعبود تقريباً. فظلوا واقفين على أقدامهم فى انتظار قدوم موكبه من الضحى إلى مابعد أذان العصر وهم وقوف ما صلوا ولا أكلوا بل ولا استظلوا من الشمس حتى قدم عليهم بعد ذلك فخطب فيهم وكان ذلك لأجل الاحتفال بعيد قيام الدولة الفاشية الأخيرة، ثم انصرفوا بالخزى والذل والعار والإثم الموجب للنار كل ذلك خوفاً على مراتبهم ووظائفهم الحكومية وهم مع ذلك فى ظنهم الفاسد الأتقياء الأبرار الصالحون الأخيار.

وقد روى البزاز من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « لا إله إلا الله تمنع من سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك ثم قالوا لا إله إلا الله قال الله كذبتم ».

وروى الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ « لاتزال أمة لا إله إلا الله بخير مالم ما انتقص من أمر

دينهم فى أمر دنياهم فإذا لم يبالوا ماانتقص من أمر دينهم فى فلاح دنياهم ردت عليهم وقيل لهم لستم بصادقين » .

وروى البزار من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن قائلها ، مابالى قائلوها ماأصابهم فى دنياهم إذا سلم لهم دينهم فإذا لم يبال قائلوها ماأصابهم فى دينهم بسلامة دنياهم فقالوا لا إله إلا الله قيل لهم كذبتم » .

ولعل أولئك الفقهاء الذين قال فيهم النبى ﷺ « إنهم شر من تحت أديم السماء » اعتمدوا فى إخراج صلاة العصر عن وقتها ، نصا ظفروا به لصاحب العمل الفاسد أو المزقاق فى اللامية أو المقاق فى فتوى نقلها الورزازى إذ وجدها فى ورقة بين كتب التسولى يشبه أن تكون بخطه ، فإن مثل هذه الخزعبلات والخرافات عليها يبنون دينهم ، وبها ينسخون القرآن وصحيح السنة وفى الاعتماد عليها يعتقدون النجاة ، فالنقل المشكوك فيه المقاق الذى هو هيان بن بيان مقدم على قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ المتواتر عنه ، لأنهم ليسوا أهلا للعمل بذلك ، وهيان بن بيان الذى أفتاهم أعرف بمعانى كلام الله ورسوله منهم ، فطاعته مقدمة ، ومع هذا يحسبون أنهم مسلمون.

وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء فيه بما أصاب من المال؟ أمن حلال أم من حرام » .

فصـــل

ومن ذلك موت القلوب عن الطاعة وعدم الميل إلى العبادة وفتور الأعضاء وبرودة الهمة، عنها ولو مع العزم عليها والتحسر على فواتها ، وكثيراً ما كنت أسأل عن ذلك، وأشتكى إلى أناس منه خوفا على نفوسهم من النفاق، فكنت أعزو ذلك إلى الشبهة فى المطعم كما قاله الصوفية رضى الله عنهم أخذاً من الأحاديث الواردة بذلك، وأن أكل الحرام يميت القلوب إلى أن رأيت الحديث الوارد بأن ذلك من أشراط الساعة والأحوال التى سيبتلى الله تعالى بها أهل آخر الزمان، وهو راجع أيضاً مايقوله الصوفية رضى الله عنهم، لأن الحرام

قد عم الجميع ولم يبق أحد يجد درهماً حلالا بسبب البنوك وكثرة المعاملة بالربا كما أخبر النبي ﷺ به أيضاً مما سبق ذكره .

وروى أحمد والطبرانى من حديث الضحاك بن قيس ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم فتن كقطع الدخان يموت فيها قلب الرجل ، كما يموت بدنه » .

وروى نعيم بن حماد فى الفتن من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لتغشين أمتى بعدى فتن يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه » ورواه أيضاً من حديث ابن مسعود ، مثل حديث الضحاك بن قيس .

وروى أيضاً هو وابن عساكر من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص فى حديث طويل فيه « ولتطمأن قلوبهم بمافيها من برها وفجورها كما تطمأ الشجرة بما فيها حتى لايستطيع محسن يزداد إحساناً ولا يستطيع مسىء استعتابا قال الله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) .

ورواه الحاكم فى المستدرك ،من حديث كريب مولى ابن عباس أنه كان مع ابن عباس ، ومعه ابن الزبير فى نفر فدخل عليهم أبو هريرة فقال : موتوا ، فقال له ابن الزبير : ياأبا هريرة والدين قائم ، والجهاد قائم ، والصلاة والزكاة والحج وصيام رمضان ؟ قال أبو هريرة أن تموت قبل أن تدرك مالا يستطيع المحسن أن يزيد إحساناً ، ولا يستطيع المسىء أن ينزع عن إساءته .

وروى الحاكم أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله ﷺ قال « من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ، ويفتح القول ، ويخزن العمل » الحديث وقال الحاكم صحيح كما قال الذهبى أيضاً ، وكذلك رواه الطبرانى برجال الصحيح ، كما قال الهيثمى الحافظ .

فصـــل

ومن ذلك عدم استجابة الدعاء ، فقد كان المؤمنون يدعون فيستجاب لهم ثم رفعت الإجابة إلا فى رمضان وعند الكعبة المعظمة وعرفات ، ثم رفعت

مطلقاً نسأل الله العافية ، وآخر ما بقى الاستشفاع بالقرآن العظيم لا حرمنا الله بركته والعمل به والتعلق بأذياله إنه كريم وهاب حليم رحيم.

وقد سبق حديث ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال : « سيجىء فى آخر الزمان أقوام تكون وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين أمثال الذئاب الضوارى ليس فى قلوبهم شىء من الرحمة » ، الحديث إلى أن قال « الحليم فيهم غاو والآمر فيهم بالمعروف منهم والمؤمن فيهم مستضعف والفاسق فيهم مشرف ، السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة فعند ذلك يسلط عليهم شرارهم ، ويدعو خيارهم فلا يستجاب لهم » .

وقال أبو نعيم فى الحلية : حدثنا أبو الفضل نصر بن أبى نصر الطوسى ثنا محمد ابن مخلد ثنا عبد الله بن أيوب ثنا داود بن المحبر ثنا صالح المرى ، عن يزيد الرقاشى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يأتى على الناس زمان يدعو فيه المؤمن العامة ، فيقول الله ادع لخاصة نفسك أستجب لك فأما العامة فإنى عليم ساخط » ورواه الديلمى فى مسند الفردوس ، من طريق أبى نعيم ، والمراد بالمؤمن هنا الكامل الذى هو المؤمن الحقيقى وهو العارف بالله تعالى ، أما من دونه فما بقى يستجاب لأحد غالباً ، ، اللهم إلا عند الاضطرار ، والله أعلم .

فصل

ومن ذلك قلة رؤيا النبى ﷺ فى المنام ، فإن كثيراً من الناس يتمنى رؤياه فلا يراه مع اتخاذ الوسائل لذلك من أذكار وأدعية وصلوات عليه ﷺ حتى إن كثيراً ممن كان يراه حجب عن ذلك أيضاً ، إلا فى النادر ، وذلك مقدمة لانقطاع رؤيا ﷺ بالكلية كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم . قال الأزرقى فى تاريخ مكة : حدثنى جدى عن سعيد بن سلام عن عثمان بن ساج قال : بلغنى عن النبى ﷺ أنه قال « أول ما يرفع الركن والقرآن ورؤيا النبى ﷺ » .

فصل

وقد امتلأت المدن بالمعاصى وأسباب الفتن فى الدين والملاهى عنه ، ولم يبق سالما من ذلك إلا البوادى كما قال صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن

يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري .

وروى نعيم بن حماد في الفتن من حديث أبي هريرة قال « ليأتين على الناس زمان ، خير منازلهم البادية » وقال خالد بن الوليد : « الفتنة أن تكون في أرض يعمل فيها بالمعاصي فتريد أن تخرج منها إلى أرض لم يعمل فيها بالمعاصي فلا تجدها » رواه ابن أبي شيبة في المصنف .

فصـــل

كان الناس يأخذون العطاء من السلطان لما لهم من حق في بيت المال ثم استأثر بذلك الظلمة فلما جاء الاستعمار صار الكفار يعطون العطاء ، ولكن رشوة للسكوت عنهم ، أو موافقتهم أو قضاء مصالحهم ، كما فعل الفرنسيون مع زعماء المغرب الخونة ، ممن باعوا دينهم بدنياهم فقد أخذوا عشرات الملايين من أسبانيا ، ثم من فرنسا ، ومن اليهود أيضاً لما كان بمصر حسبما هو مشهور معروف عنه ، وعن أمثالهم من ملاحدة العصر الذين يخدمون الاستعمار تحت ستار الوطنية والزعامة لعنهم الله .

روى أبو نعيم في الحلية من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خذوا العطاء ما دام عطاء فإذا صار رشوة عن الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه يمنعكم من ذلك الفقر والحاجة ، ألا إن رحا الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار ، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب ، ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم ، إن عصيتموهم قتلوكم وإن أطعتموهم أضلوكم » قالوا : يا رسول الله كيف نصنع ؟ قال « كما صنع أصحاب عيسى بن مريم عليه السلام ونشروا بالمناشير وحملوا على الخشب ، موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله » فقوله ﷺ « إن رحى الإسلام دائرة وإن الكتاب والسلطان سيفترقان » صريح في وجود الحكومات الكافرة المستعمرة المفارقة للكتاب وأنها ستعطي رشوة في الدين على الخيانة للإسلام والوطن كما هو الواقع من كثير من الزعماء والملوك أيضاً .

فصـــــل

فى الحرب العظمى السابقة كانت الدولة التركية أخذت المدينة المنورة من سكانها حتى لم يبق فيها أحد إلا الجند وحدهم ، فتفرق أهل المدينة فى الأقطار وأكثرهم ذهب إلى الشام ، ثم بعد انتهاء الحرب عادوا إليها ، واحتل القرنيون الحجاز ، وهم أعداء أهل المدينة الشريفة لمجاورتهم سيد الخلق وأفضل الرسل صلوات الله وسلامه عليه ، فتراهم يضيقون عليهم ويعاملونهم بما يحملهم على مفارقتها والخروج منها مرة أخرى لتخرب وذلك كائن لامحالة ، وبهذا أعنى الخروج الأول والثانى أخبر النبى ﷺ .

فروى عمر بن شبة فى تاريخ المدينة من طريق الوليد بن مسلم عن ابن لهيعة عن أبى الزبير عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب على المنبر يقول : إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تمتلىء ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبداً » .

وروى أيضاً من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال « ليخرجن أهل المدينة ثم ليعودون إليها ثم يخرجون منها ثم لا يعودون إليها أبداً وليدعنها وهى خير ما تكون مونقة ، قيل فمن يأكلها ؟ قال « الطير والسباع » .

وروى أيضاً عن أبى هريرة قال : ليخرجن أهل المدينة من المدينة خير ما كانت نصفها زهور ونصفها رحب : قيل من يخرجهم منها ياأباهريرة ؟ قال أمراء السوء ، قلت : وهم القرنيون اللهم إلا أن يظهر الله بعد هذا شيئاً آخر .

فصـــــل

ومن عجيب ماظهر فى الوقت تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال فالشاب يتخنث ويحلق وجهه كل صباح ، ويدلكه ويلمعه بالأدهان والسوائل المعدة لذلك ، كما يفعل النساء ، ومنهم من يزجج جواجبه وأكثرهم ينتفون ما على الخدين من شعر بخيوط معدة لذلك عند المزينين ، ويمشطون بالعطورات ويصلحون شعورهم كالمرأة أو أكثر عناية منها به ، فلا يخرج الواحد من منزله إلا بعد تعب طويل فى إصلاح نفسه ، ويلبس فى يده الساعة من ذهب

كالسوار ومنهم من يضع شبكة على شعره كالمرأة أيضاً .

والنساء أصبحن يتشبهن بالرجال فى الملابس العربية والإفرنجية والأحذية والوظائف والكتابة فى الجرائد والتدخل فى السياسة وغير ذلك مما هو معروف.

وقد أخبر النبي ﷺ بهذا وأنه أشراط الساعة ، فروى أبو نعيم فى الحلية من حديث حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من اقتراب الساعة تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال » .

فصــــل

ولا يخفى ما فيه المؤمنون اليوم من الضيق ، بل وجل الناس ، فلا تكاد تجد أحداً إلا وهو ضيق الصدر منقبض القلب ، يشكو زمانه ويتحسر على ما مضى من الأيام التى كان يذوق فيها لذة العيش والحياة ، وبهذا ورد الخبر عن رسول الله ﷺ فى الأحاديث الكثيرة .

فروى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه » .

ورواه مسلم أيضاً بلفظ آخر وهو قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء » .

وروى البزار والطبرانى من حديث حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « يأتى على الناس زمان يتمنون فيه الدجال ، قلت : يا رسول الله بأبى وأمى مم ذاك ؟ قال لما يلقون من العناء » .

وروى أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليأتين عليكم زمان تغبطون فيه الرجل بخفة الحاذ كما تغبطونه اليوم بكثرة المال والولد ، حتى يمر أحدكم بقبر أخيه فيتمعك كما تمعك الدابة ، ويقول : يا ليتنى مكانك مابه شوق إلى الله ولا عمل صالح قدمه إلا لما نزل به من البلاء » .

فصل

ومما وجد فى هذا الزمان كثرة الموت بالحروب الطاحنة التى لا يكاد يخلو منها وقت فمن حرب عامة إلى أخرى خاصة فى قطر من الأقطار كما هو الواقع المشاهد.

وقد روى أحمد والطبرانى والبزار وأبو يعلى من حديث سلمة بن نفيل السكونى رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى حديث قال فيه « وبين يدى الساعة موتان شديد، وبعده سنوات الزلازل »، وقد يدل هذا الحديث على الحرب العالمية المارة فإنه حصل فيها موتان شديد، وبعدها صارت سنوات الزلازل، وقد ورد بطريق التواتر عن النبى ﷺ قوله « إن من أشراط الساعة أن يكثر الهرج وهو القتل ».

فصل

ومن ذلك تزويق البيوت بالذهب. قال البخارى فى الأدب المفرد: حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا ابن أبى فديك عن عبد الله بن أبى يحى عن سعيد بن أبى هند عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يبنى الناس بيوتا يوشونها وشى المراحيل »، قال إبراهيم: يعنى الثياب المخططة.

فصل

ومن ذلك انقطاع الجهاد، قال أبو نعيم فى تاريخ أصبهان: حدثنا الحسن ابن محمد بن جعفر ثنا عبد الله بن محمد بن عبدان أبو مسعود ثنا محمد بن سليمان بن حبيب لوين ثنا أبو عقيل يحيى بن المتوكل عمر بن حمزة عن عمر بن هارون عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من أشراط الساعة سوء الجوار وقطيعة الأرحام وتعطيل السيف عن الجهاد وأن تختل الدنيا بالدين ».

وقال الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول: حدثنا عبد الله بن أبى زياد القطوانى ثنا سيار عن جعفر بن سليمان عن الصلت بن طريف قال: حدثنا شيخ من أهل المدائن قال: قال رسول الله ﷺ: « أنتم اليوم على بينة من ربكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتجاهدون فى سبيل الله ثم تظهر فيكم السكرتان سكرة العيش وسكرة الجهل وستحولون إلى غير ذلك، يفشو فيكم حب الدنيا

فإذا كنتم كذلك لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر ولم تجاهدوا فى سبيل الله والقائمون يومئذ بالكتاب والسنة فى السر والعلانية هم السابقون الأولون » .

فصل

كان الإسلام فى ستر وعافية ، فلما قامت الحرب العظمى الأولى وانقضت ظهر عقبها الوطنيون والأحزاب التابعة للافرنج المقلدة لهم وظهر الإلحاد والكفر والتفرنج والمروق والإنسلاخ من الدين ، فلم تمض عشرون سنة حتى كاد الدين يذهب بالكلية بحيث وقع فى هذه المدة من التغير مالم يقع فى أزيد من ألف سنة ، وبهذا أخبر النبي ﷺ فقال « أول مايكفأ الدين كما يكفأ الإناء فى الخمر » رواه الدارمى وغيره من حديث عائشة رضى الله عنها .

وروى ابن عساكر من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « أول ماتكفأ أمتى عن الإسلام كما يكفأ الإناء فى الخمر » يعنى بسرعة كما وقع .

فصل

ومن ذلك تعلم العلم لغير الله وطلبه للدنيا ونيل الوظائف ، وقد كان هذا الداء قديماً ، ولكن من وقت ظهور الشهادات فى الأزهر وترتيب الوظائف على نيلها ، انقطع طلب العلم لله ولم يبق له وجود إلا فيما لايذكر ولا يعد وذلك ما أخبر به النبي ﷺ أنه من أشراط الساعة ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا اتخذ الفيء دولا والأمانة مغنما والزكاة مغرماً وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمه أولها فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع » رواه الترمذى .

وروى الطبرانى من حديث عوف بن مالك الأشجعى نحوه ، ومحل الشاهد منه قوله ﷺ « وتفقه فى الدين لغير الله » .

وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وتتخذ سنة فإذا ترك منها شيء قيل تركت سنة، قالوا متى يارسول الله؟ قال، إذا كثر قراؤكم وقلت علماؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الله » رواه أبو نعيم فى الحلية.

وروى الحاكم فى المستدرك من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبان بن سليم بن قيس الحنظلى قال: خطبنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال « إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى أن يؤخذ الرجل منكم البرىء فيؤشر كما تؤشر الجزور، ويشاط لحمه كما يشاط لحمها. ويقال عاص وليس بعاص، قال فقال على بن أبى طالب عليه السلام وهو تحت المنبر: ومتى ذلك يا أمير المؤمنين وبم تشتد البلية وتظهر الحمية وتسبى الذرية وتدقهم الفتن كما تدق الرحا ثفلها، وكما تدق الحطب، قال ومتى ذلك يا على؟ قال: إذا تفقه المتفقه لغير الدين وتعلم لغير العمل والتمست الدنيا بعمل الآخرة ».

وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ « سيأتى على الناس زمان يقعدون فى المساجد حلقا حلقا إنما همتهم الدنيا فلا تجالسوهم فإنه ليس لله فيهم حاجة ».

ورواه الحاكم من حديث أنس وصححه.

فصل

وكذلك حال علماء الوقت الذين هم شر من تحت أديم السماء، كما قال النبى ﷺ فإنه ما أفسد الدين وكان السبب فى القضاء عليه إلا هم.

قال الحاكم فى تاريخ نيسابور: أخبرنا محمد بن حامد حدثنا أبو حاتم السلمى حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يحيى حدثنا خالد بن يزيد الأنصارى عن ابن أبى ذئب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ « سيأتى على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه ولا من الإسلام إلا اسمه يتسمون به وهم أبعد الناس منه مساجدهم عامرة وهى خراب من الهدى فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود ».

ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل نحوه ، ورواه ابن بطة فى الحيل من حديث على عليه السلام قال « يوشك ألا يبقى من الإسلام إلا إسمه ومن القرآن إلا رسمه مساجدهم يومئذ عامرة وهى خراب من الهدى علماؤهم شر من تحت أديم السماء من عندهم خرجت الفتنة وإليهم تعود » قلت : وأديم السماء تحته اليهود والنصارى والمجوس والقردة والخنازير وتحته أيضاً من هو شر من هؤلاء كلهم ، وهم الشباب الفاسد الملحد الفاجر الخاسر ، ومع ذلك فعلماء الوقت شر منهم وهذا أمر واضح لا خفاء به فإنه ما سمع عن أحد معلما أنه قال فى هؤلاء المارقين الملاعين كلمة أو حذر المسلمين منهم ، بل فى هؤلاء العلماء من هم من أحزابهم ومعدودن من شيوخهم وموافقون لهم على كل كفرهم ومروقهم ، بل بسكوتهم عنهم وسعيهم نشأ أولئك الملاحدة الخسرة ، فما أفسد الدين إلا أحبار سوء ورهبانها ، كما قال السلف الصالح .

وقال أبو نعيم فى الحلية : حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجانى حدثنا سليمان بن الحسن العطار حدثنا أبو الفضل الواسطى حدثنا يوسف بن عطيه حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « سيكون فى آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة » .

وقال مكحول : يأتى على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة حمار .

وقال الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول : حدثنا أبى رحمه الله حدثنا خوشب بن عبد الكريم حدثنا حماد بن زيد عن أبان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « يكون فى آخر الزمان ديدان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وهم الأنتنون ، ثم تظهر قلانس البر فلا يستحى يومئذ من الزنا . المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على جمرة والمتمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين ، قالوا منا أو منهم ؟ « بل منكم » .

وقال أبو نعيم فى تاريخ أصبهان : حدثنا على بن محمد الحسن حدثنا أحمد ابن عبد الله بن النعمان حدثنا أحمد بن مهدى حدثنا النفيلى حدثنا بقية بن

الوليد عن أبي الصباح عن عبد العزيز عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا داهنت قراؤكم أمراءكم وعظمتم صاحب الدنيا والمال مقتكم الله وسقطتم من عينه » . وقال الحسن بن سفيان في مسنده : حدثنا كثير بن عبيد الحذاء حدثنا محمد بن حميد عن مسلمة بن على عن عمر بن ذر عن أبي قلابة عن أبي مسلم الخولاني عن أبي عبيدة بن الجراح عن عمر بن الخطاب قال : أخذ رسول الله ﷺ بلحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال : « إنا لله وإنا إليه راجعون أتاني جبريل آنفاً فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقلت أجل إنا لله وإنا إليه راجعون فما ذلك ياجبريل ؟ فقال إن أمتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير ، فقلت فتنة كفر أو فتنة ضلالة ، فقال كل سيكون فقلت ومن أين وأنا تارك فيهم كتاب الله ؟ قال : فبكتاب الله يفتنون ، وذلك من قبل أمرائهم وقرائهم ، يمنع الأمراء الناس الحقوق فيظلمون حقوقهم ولا يعطونها فيقتتلوا ويفتتنوا ويتبع القراء أهواء الأمراء فيمدونهم في الغي ثم لا يقصرون » ورواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من طريق الفضل بن محمد عن كثير بن عبيد بسنده مثله . ورواه ابن وضاح في البدع عن يعقوب ابن كعب الأنطاكي عن محمد بن حميد عن مسلم بن على به مختصراً ، وعزاه الحافظ في الفتح إلى مسند عمر الإسماعيلي بلفظ « أتاني جبريل فقال إن أمتك مفتتنة بعدك فقلت من أين ؟ قال من قبل أمرائهم وقرائهم يمنع الأمراء الناس الحقوق فيطلبون حقوقهم فيفتنون ، ويتبع القراء هؤلاء الأمراء فيفتنون » :

وقال الطبراني : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عوف حدثنا محمد بن حفص الأصابي . حدثنا محمد بن حمير ، حدثنا أبو بكر أبي مريم ، عن حبيب بن عبيد عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام ، أولئك شرار أمتي » وقال الترمذي الحكيم في نوادر الأصول : الأصل الحادي والخمسون والمائة ، في تصيير العلماء قردة وخنازير . حدثنا عمر بن أبي عمر . حدثنا هشام بن خالد الدمشقي عن إسماعيل

ابن عياش عن ليث، عن ابن سابط عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ «يكون في أمتي فزعة فيصير الناس إلى علمائهم فإذاهم قردة وخنازير» قال الترمذي: فالمسخ تغير الخلقة عن جهتها، وإنما حل بهم المسخ لأنهم غيروا الحق عن جهته، وحرفوا الكلم من مواضعه فمسخوا أعين الخلق وقلوبهم عن رؤية الحق فمسخ الله صورهم وبدل خلقهم كما بدلوا الحق باطلا، وأطال في تقرير ذلك فانظره فإنه نفيس.

فصــــل

وأخبر ﷺ بإعراض الناس عن قراءة كتاب الله لتفهمه والعمل به والإقبال على كتب الرأي الذي يسمونه بالفقه، إنما هو الرأي الباطل لاسيما كتب الأحكام، والقضاء هي محط رحالهم، ومنتهى نظرهم الآن لأنها مصيدة للدنيا دون كتب العبادات.

فقد روى الطبراني والحاكم بسند صحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القول ويحبس العمل وتقرأ في القوم المثناة أو المساءة ليس أحد من القوم ينكرها، قلت وما المثناة؟ قال: ما كتب سوى كتاب الله» ورواه الدارمي والحاكم أيضاً من وجه آخر من طريق الأوزاعي عن عمرو ابن قيس السكوني عن عبد الله بن عمرو به ولفظه «ألا إن من أشراط الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ألا إن من أشراط الساعة أن تظهر القول ويخزن العمل ألا إن من أشراط الساعة أن تتلى المثناة فلا يوجد من يغيرها قيل وما المثناة قال ما استكتب من كتاب غير القرآن فعليكم بالقرآن فبه هديتم وبه تجزون وعنه تسألون» أي لا عن المختصر والتحفة ولا عن الزقاقية والعمل الفاسد الذي به وبمثله من الرأي الباطل ضل الناس وخرجوا من دين الإسلام، إذ جعلوا العرف الصادر عن أفعال الجهلة من الدباغين والخرازين دليلا في الدين مقدما على القرآن والسنن بل ناسخاً لهما، لعنه الله.

وقال الحارث بن أبي أسامة في مسنده: ثنا محمد بن جعفر ثنا إسماعيل بن عياش عن أبان بن أبي عياش قال: حدثني أبو الجلد عن معقل بن يسار قال سمعت

رسول الله ﷺ يقول : «لا تذهب الأيام والليالي حتى يخلق القرآن فى صدور أقوام من هذه الأمة كما تخلق الثياب ويكون ماسواه أعجب إليهم» وقد سبق حديث «لا تقوم الساعة حتى يكون كتاب الله عاراً» ووالله عار بين مقلدة العصر الجهلة من مدرسين ومفتين وقضاة ، وقد أفتيت مرة فتوى ذكرت فيها آية وحديثاً ، فلما ذهب المستفتى إلى القاضى وكان بمدينة تطوان قطع الورقة بعد أن قرأها ورمى بها أمام الناس ، فى غضب شديد ، وقال للرجل : إن عدت تأتى بفتوى فيها آية أو حديث سجنتك . قبحه الله وأخزاه وكل من كان على هذا الكفر والضلال من الجهلة أعداء الله ورسوله مثله .

فكان كتاب الله عاراً مسقط للفتوى فى نظر هذا الكافر المشرك كما قال رسول الله ﷺ ، وليس هذا رأيه وحده . بل هو رأى جل أهل الوقت فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقال الدارمى فى مسنده: أخبرنا يزيد بن هارون أخبر العوام عن إبراهيم التيمى قال: بلغ ابن مسعود أن عند ناس كتاب يعجبون به ، فلم يزل بهم حتى أتوه به فمحاه. ثم قال: إنما هلك أهل الكتاب قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم، وتركوا كتاب ربهم، صدق رضى الله عنه فهذا بعينه الذى سلكته هذه الأمة، وبه هلكت وأذلها الله وسلط عليها الكفار، وأوصلها إلى ماترى نعوذ بالله من الضلال والخذلان .

فصل

والذى زين للناس الإعراض عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وترك العمل بالدليل ، والإقبال على رأى الناس ، والإفراط فى ذلك حتى أشركوا الله تعالى وصيروا غيره معبوداً معه ورأى ذلك الغير ولو كان من أجهل الناس مقدما على كلام الله ، وصيرو للسنة بدعة الرأى وضلاله سنة ، هو التقليد الملعون الذى كان لعنه الله السبب فى انقراض العمل بالسنة والدليل حتى لم يبق إلا العمل بالظن الذى هو رأى الناس كما أخبر بذلك النبى ﷺ .

فروى الطبرانى من حديث أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ «لاتقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عاراً ويتقارب الزمان وتنقص السنون

والثمرات ويؤتمن التهماء ويتهم الأمناء ويصدق الكاذب ويكذب الصادق ويكثر الهرج ويظهر البغى والحسد والشح وتختلف الأمور بين الناس ويتبع الهوى ويقضى بالظن ويقبض العلم ويظهر الجهل » .

فالقضاء بالظن هو الرأى الذى يسمونه فقها وقبض العلم هو كتاب الله وحديث رسوله ﷺ فإنه لا علم إلا هما كما قال مولانا رسول الله ﷺ «العلم ثلاثة وماسوى ذلك فهو فضل: آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة» رواه أبو داود وابن ماجة والحاكم فى صحيحه ، وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه :

العلم ما كان فيه قال حدثنا   وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وقد قبض علم القرآن والحديث وانقرضت معرفته والاشتغال به لأنه لم يعد ينفع فى شىء حيث لا يستدل به ، ولا يحتاج فى الدين إليه ، بل كفاهم وسواس الشياطين كما قال الإمام الشافعى الذى ينطق بنور الله رضى الله عنه ، فكتب الرأى والوسواس قد ملأت الدنيا ، والعلماء به وبطرق العمل به وإضلال الناس عن دين الله بسببه ، هم العلماء والأتقياء والأئمة المرموقون ، بل هم فى نظرهم ونظر عامة الجهلة أمثالهم المؤمنون ، لا غيرهم من العصابة الظاهرة على الحق ، وهذا مصداق قوله ﷺ : « ويظهر الجهل » فلا جهل والله أجهل من التقليد ولا أجهل الأرض من المقلد .

وقال الطبرانى فى الأوسط : حدثنا أبو الزنباع وأحمد بن رشدين قالا حدثنا روح بن صلاح ثنا سفيان عن منصور عن ربعى عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ « سيأتى عليكم زمان لا يكون فيه شىء أعز من ثلاثة أخ يستأنس به أو درهم حلال أو سنة يعمل بها » .

وقال ابن وضاح فى البدع والنهى عنها - وهو من أنفس ماطبع من كتب السلف الصالح : حدثنى سليمان عن سحنون عن ابن وهب عن خلاد ابن سليمان قال : سمعت دراجا أبا السمح يقول ، يأتى على الناس زمان يسمن الرجل راحته حتى تعقد شحما ثم يصير عليها فى الأمصار حتى تعود نقضاً ، يلتمس من يفتيه بسنة قد عمل بها . فلا يجد من يفتيه إلا بالظن .

يعنى بالرأى المسمى عندهم بالفقه ، وهذا هو الواقع اليوم ، فلو طاف المرء أقطار الأرض لما وجد من يفتيه بسنة أصلا ، إنما يفتونه بظن أئمتهم وآرائهم التى فيها الحق والباطل ، مع اعتقادهم أنها الدين والسند وأن سنة رسول الله ﷺ والعمل بها هى البدعة ، والكفر والضلال ، ولهذا لما أفتينا بالسنة قطع القاضى اللعين الفتوى وهم بسجن من جاءه بها فكيف يوجد مع هذا من يفتى بها .

الفصـــل

ومن دأبهم الاحتجاج بالقرآن والسنة فيما وافق هواهم ورأى أئمتهم ، فإذا جاء القرآن وألف حديث معه بخلاف رأى أئمتهم نبذوا الجميع بالتأويلات الباطلة ، والتعسفات السخيفة فإذا عجزوا عن ذلك ردوه صراحة بدون تأويل ولا اعتذار ، قائلين مذهبنا خلاف هذا وإمامنا لم يأخذ به ، فلم يبق مع ذلك قرآناً منزلا من عند الله ، ولا وحياً متواتراً عن رسول الله ، بل صار من الباطل والضلال البين الذى من عمل به بدعوه وحكموا بمروقه وضلاله كأنه تمسك بالتوراة المبدلة وبهذا أخبر رسول الله ﷺ أيضاً .

فقال الطبرانى : حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا أبو حفص عمر بن يزيد الرفا البصرى ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملوا بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، أى يؤمنون بالبعض الذى عمل به أئمتهم ، ويكفرون بالبعض الذى خالفوه وفى الحقيقة هم كافرون بالجميع ، لأن البعض الذى آمنوا به لو خالفه أئمتهم لكفروا به أيضا ، وقد حكينا فى غير كتاب من كتبنا عمن قال منهم فى مجلس حافل ـ وكان من المدرسين والمعروفين بالعلم بينهم ـ : ما قاله الله ورسوله أضعه تحت قدمى ، وما قاله خليل أضعه فوق رأسى ، لعنه الله وقبح سعيه وأخزاه ، وحكينا أيضاً عمن قال فى تصنيفه فى الرد على العاملين بالسنة : الفصل العاشر فى تحريم العمل بالكتاب والسنة ، وعن آخر قال فى تأليف له العمل بالضعيف من أقوال أئمته : فإن

قلت هل يجوز العمل بالقرآن ؟ قلت أو قال : فالجواب لا ، وكتابه مطبوع قبحه الله . وكلهم على هذه العقيدة الكافرة فى القرآن والسنة .

فصل

ومع كل هذا فلم ينقطع والحمد لله العاملون بالكتاب والسنة ، بل لابد من وجودهم ولو بقلة ، للحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » ، ولو انقطع العاملون بالكتاب لاجتمعت الأمة على ضلالة ذلك محال ، وكذلك قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح المتواتر ، الذى أفردناه بمؤلفين أحدهما فى طرقه ، والآخر فى معناه « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ، ولامن خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » والدنيا فيها ملايين المقلدة وإنما الطائفة من بينهم هى العاملة بالدليل وهى التى لا يضرها خلاف المقلدة ولا خذلانهم لها كما هو مشاهد .

فصل

وتحدثاً بنعمة الله علينا نقول: إننا من تلك الطائفة والحمد لله وبنا وبأمثالنا يندفع الضلال عن هذه الأمة ويتحقق ما أخبر به النبى ﷺ ، من أن أمته لاتجتمع على ضلالة وأنها لاتزال بها طائفة قائمة بالحق عاملة به إلى أن يأتى أمر الله وهم على ذلك .

بل لا نبالغ إذ قلنا : قد وردت الإشارة إلينا والحمد لله تعالى على فضله ومنته وذلك فيما رواه ابن وضاح وغيره من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا ظهرت فيكم السكرتان سكرة الجهل وسكرة حب العيش وجاهدوا فى غير سبيل الله فالقائمون يومئذ بكتاب الله سراً وعلانية كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار » .

فليس فى مغربنا ، بل ولا فى الشمال الإفريقى قائماً بكتاب الله داعياً إليه سراً وعلانية محارباً ومخالفاً من المقلدة الذين هم أكثر أهل الأرض ، غيرنا والحمد لله على ذلك ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان وتقدير

العالم الفاضل ، الصوفى الجليل ، الشيخ أحمد محمد مرسى
الأثرى عقيدة ومذهبا ، النقشبندى طريقة ومشربا
حفظه الله وأطال بقاءه

يقول الله تبارك وتعالى(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) والذكر فيما علمنا هو كتاب الله الذى أنزله على سيدنا خاتم أنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ووصفه سبحانه بقوله (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً) .

إنه القرآن الكريم يرسم للناس السبيل الأقوم ، لدنياهم ودينهم، والذى أنزله هو الذى يحفظه إلى يوم الدين .

ويحفظه بما بينه رسوله للخلق من وصايا وتعاليم .

ويحفظه بما يبقى فى نفوس عباده من إيمان به ، وطمع فى ثوابه ، وخوف من عقابه .

ويحفظه بمن يصطفى من الناس لفهم كتابه الحكيم ، وإفهامه للناس وتفتيح عقولهم وقلوبهم على أحكامه .

وفى الحديث الصحيح عن الرسول الأعظم ﷺ : « إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها » .

وقال : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

فالمراد إذن بمعنى « رأس كل مائة » مايفسره الحديث الثانى . حديث الخلف . والأحاديث يشرح بعضها بعضا .

ومن الأعلام الذين بعثهم الله على رؤوس القرون أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز الذى ظهر فى أول القرن الثانى للهجرة سنة ١٠٩ والإمام الشافعى فى القرن الثالث سنة ٢٠٤ ، وأبو العباس بن سريج مات فى مطلع القرن الرابع ، وهكذا على التوالى، والإمام جلال الدين السيوطى عد نفسه مجدداً فى كتابه المسمى (تحفة المجتهدين فى معرفة المجددين) وتوفى سنة ٩١١ .

ويكمل هذا المعنى حديث سيدنا رسول الله ﷺ « مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » .

وشيخنا الجليل الإمام المجتهد الحافظ العلامة الفهامة السيد أحمد بن محمد ابن الصديق ، ديمة صافية من هذا المطر العظيم ، وهبة من الله تعالى لهذا الجيل ، بل والأجيال القادمة التى ستنتفع بعلمه إلى ما لا يحصى من السنين .

ومؤلفاته رضى الله عنه الدينية والعلمية أكثر من أن تعد ، وهذا الكتاب « الطباق » أثر جديد عجيب من آثاره التى نسأل الله المجيب أن يؤتينا منها المزيد ويكتب للسيد صاحبه العمر المديد السعيد .

وإنى إذ أحاول أن أعرض الكتاب على القراء ، أو أقدم نماذج من كنوزه النفيسة ، أحسبنى أظلم الكتاب وقارءه ، ولك أن « الطباق » وحدة عملية مترابطة متماسكة ، أو مجموعة سبائك فكرية متصله متناسقة .

إذا اقتطعت منها ماتعرضه على الناس ذهبت بالكثيرمن روعتها وجمالها .

وحسبى أن أقول : إن هذا الكتاب قاموس علمى دينى شامل ، وإنه سراج منير من علوم الأقدمين ، وبحوث المجددين ، وإن الاطلاع عليه والتعمق فى فهمه ، يزيدان المؤمن إيماناً ، ويجلوان عن المتشكك شكوكه . ويكشفان للذين كادت مكتشفات العصر الحاضر ومخترعاته تفتنهم عن عقائدهم أن كل ما اهتدى إليه المحدثون من بخار وكهرباء وطيران والذرة وغير ذلك

وكل ماسيهتدون إليه ، قد سبق فى علم الخالق العليم ، ونبأ به فى كتابه الحكيم وأرشد إليه الرسول العظيم ، صلوات الله وسلامه عليه وآله ، فكان ذلك البيان العظيم من أظهر المعجزات الخالدة الدالة على صدق نبوته ، وعموم رسالته ، إذ إخباره ﷺ بأمور ظهرت وتظهر من بعده بأزيد من ألف عام وهى من قبيل المستحيل فى العادة البشرية ، ولم يغادر من الإشارة إليها مع كثرتها كما هو مبين فى ذلك (الطباق) لأصدق برهان وأعظم دليل على عظمة ذلك النبى الأمى العظيم ، الذى لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى إليه من ربه الذى اصطفاه لهذه المنزلة الكبرى ، وقد حدث أن سيادة المؤلف قابل — مصادفة — الأستاذ استراد شركا التشيكوسلوفاكى المتخرج من جامعة براغ فى الفلسفة وتذاكر معه فى موضوع هذا الكتاب، فعجب من ذلك الاهتداء وألح فى الطلب من المؤلف أن يعجل بطبعه ونشره، مع الإذن لحضرته بترجمته باللغة الإنجليزية . قائلا : إنه يعتقد شخصياً أن نشر هذا الكتاب باللغة الإنكليزية سيكون له نفع كبير فى إسلام كثير من الناس بشرق أوربا بالخصوص .

والسعيد من أنعم الله عليه بالذهن المضىء الذى يدرك أسرار الآيات ، ومكنونات المعانى ، وما أضوأ ذهن شيخنا، وما أجزل مامنحه الله من المواهب والمناقب ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ؟

أحمد محمد مرسى

فهرس الكتاب

المؤلف

شن الغارة على بدعة أذان الجمعة عند المنبر والمنارة
سبل الهدى فى إبطال حديث إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا
الإفضال والمنة رؤية النساء لله تعالى فى الجنة
المغير على الأحاديث الموضوعة فى الجامع الصغير
هداية الصغرا
المعجم الوجيز المستجيز
مسالك الدلالة فى شرح الرسالة بالآيات
(لشقيق المؤلف)
حسن التلطف فى بيان وجود سلوك التصوف
إعلام النبيل بجواز التقبيل
الباحث عن علل الطعن فى الحارث
التحذير من أخطاء النابلسى فى تعبير رؤيا فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام
فضايل النبى فى القرآن ومعه النفحات الإلهية فى الصلاة على خير البرية
عقيدة أهل الإسلام فى نزول عيسى عليه السلام
تعليق على كتاب الإكليل فى شرح خليل للعلامة الأمير
إتحاف ذوى الهمم العلية فى شرح العشماوية
الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين
خواطر دينية
سمير الصالحين
تمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنة
جواهر البيان فى تناسب سور القرآن
الأحاديث المختارة فى الأخلاق والآداب المسمى الغرائب والوحدان
بدع التفاسير
الأربعين حديثا الصديقية